جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة الفلسفة

موضوع المذكرة

نقد الإمام أبي حامد الغزالي للمشائية الإسلامية

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات

شهادة ماستر في تاريخ الفلسفة

نوقشت أمام لجنة المناقشة المكونة من:

- د. أحمد زيغمي .....رئيسا.
- أ. محمد الصديق بن غزالة .....مشرفاً.
- أ. عاشور بن قويدر.....مناقشاً.

إعداد الطالبة:

الحنينة خلف

الموسم الجامعي : 1436-1437هـ/ 2016-2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلى كل من يضع عقيدته من وراء عقله .... ويطلق عقله من أسر إرادتـــه ... يفكر ، يختار الذي يريد ... و لا يريد ليفرض على عقله كيـف يفكر ...

وإلى أصحاب الفضل علي ... إلى أصحاب الفضل في دمي ...

إلى والدتي ... إلى جذوة النور التي ما انفكت تضئ طريق حياتي وبصيرتي ، إلى يدها التي أقعدتني مقعد العلم ... إلى أسرتي .....

إلى كل أحبتي .

أهدي هذا العمل و الحمد الله – حمدا يعجز لساني عن أداء حقه

فهو ولي كل توفيق و ملهم كل خير ، و الهادي إلى كل حق.

شكر و تقدير

أشكر الله عزوجل الذي أعانني على إنجاز هذا العمل

وعلى توفيقه لي.

كما من واجبي التقدم بالشكر الجزيل

إلى الأستاذ ((بن غزالة محمد الصديق)) الذي تكرم بالإشراف على هذه المذكرة ومد يد العون بنصائحه و توجيهاته ، كما لا يفوتني شكر كل أساتذتي و كل من علمني حرفا مدى الحياة.

وكذا إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من بعيد أو قريب فائق الشكر والتقدير و أخص بالذكر الأستاذين المناقشين على ملاحظاتهم القيمة مسبقا .

وإذا كان الحديث عن الفلسفة و الغزالي تحديدا؛ فلا يمكنني نسيان فضل أساتذتي في معهد العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة بجامعة قسنطينة ، الذي أجد من واجبي شكرهم على ما أدين لهم من معارف في الفلسفة الإسلامية ، مضافا إلى أني أدين لأساتذة شعبة الفلسفة بجامعة ورقلة بأن أتاحوا لي فرصة القيام بهذا المشروع ولما أمدوا لي من يد العون المعنوي و العلمي رغم كثرة مشاغلهم فلهم جزيل الشكر و وافر التقدير .

وفي الختام لا أنسى فضل أسرتي التي قدمت لي الدعم اللازم لتمكيني من إنجاز هذا العمل و تحمل انشغالي طول فترة إعداده .

و الحمد لله في البدء و الختام .

مقـــدمة

مقدمة:

تعتبر عناصر الفكر الحديث ثمرة التراث ، فلولا الأصل لم تكن الثمرة ، و إن النظر إلى الماضي وسيلة لبناء الحاضر ؛ فنستخلص منه الفكرة التي تخلف عناصر الربط بين الماضي و الحاضر و نجعل منها أداة صلة نتحرك بها دائما نحو التجديد والإبداع . فضمن هذه النظرة المعاصرة ، ينبغي لنا أن نزن تراثنا الفلسفي و نحكم عليه ، لمحاولة بناء فلسفة شاملة متكاملة متميزة ، تلك هي الصورة التي أردتها لموضوعي التي أنتقل عبرها إلى عصرنا يتجه البحث العلمي المعاصر بالكشف و الدراسة و التحليل . و لا غرابة فإن القرن الخامس للهجرة كان قرن العلوم الإسلامية بحق ، فهو يعتبر من أعظم القرون الإسلامية على كل المستويات ؛ فقد شهد نهضة فكرية كبرى ، حركت كل ما يمكن تحريكه في الحقل المعرفي .

ومن رجال هذا العصر و عبقرياته الفذة نجد : محمد أبي حامد الغزالي ؛ الشخصية الفكرية والموسوعة العلمية ، و صاحب المؤلفات التي تشهد على ذلك ؛و التي تمثل سجلا حافلا لمختلف أنواع العلوم في عصره ؛ فهو العالم ، الفقيه ، الإمام ، الظاهرة الإنسانية العلمية .

لقد قام الغزالي باجتهاد مثمر في ميدان الفلسفة ، و ساهم مساهمة جدية في إثراء الفكر الإسلامي ؛ فكتبه من التراث المنهجي للفكر الإسلامي إذ تكشف لنا في جملة ما تكشف عن العبقرية الإسلامية التي كان هدفها إقامة منهج فكري إسلامي متميز.

01- أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية الموضوع في فكر الغزالي و تأثيره على فلاسفة عصره و خاصة المشائية منها و الذي يعد من المواضيع الثرية لدراسته عبر كل زمان و مكان ، والمساهمة في إحياء الفكر الإسلامي و تقريبه للقارئ.

02- الإشكالية:

أما إشكالية البحث فمجالها العام تاريخ الفلسفة الإسلامية ؛ و بالضبط حول نظرية النقد المنهجي التي تعتبر من أهم المباحث فيها ؛ إذ نجد أن هناك تضاربا حول فلسفة الغزالي ، و تأثيره على فلسفات عصره ، و انطلاقا من هذا التضارب الذي يحيلنا إلى الإشكالية الرئيسية : ما مضامين المنهج النقدي عند الغزالي؟ أين تكمن العلاقة بين الفكرين الغزالي و المشائي الإسلامي ومحاولة للإجابة عن الإشكالية : ارتأينا طرح إشكاليات فرعية و التي يمكن حصرها فيما يلي : ما حقيقة الفلسفة المشائية ؟ من هو الغزالي ؟ ما هي محاور فلسفته؟ و ما العلاقات الفكرية بين كل من الغزالي و الفكر الفلسفي المشائي الإسلامي؟

03- المنهج المتبع:

وفي إطار بحث ومناقشة هذه الإشكالية ؛ استعنت بالمنهج التحليلي النقدي والمنهج الوصفي المقارن ؛ فالتحليلي النقدي الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع ساد أغلب ما ورد في البحث من فصول ، وهذا ما أتاح فهما أدق للمشكلات و تقدما أكثر من إمكانية حلها ، كما سلكت أيضا أسلوبا وصفيا مقارنا حيث عملت بمقتضاه على إجراء مقاربات بين الفكرين الغزالي و المشائي الإسلامي ، في بعض الآراء و المواقف ؛ و هو المنهج الذي يتيح إدراك الموضوع إدراكا واضحا .

04- الدراسات السابقة:

أما فيما يخص الدراسات التي عالجت هذا الموضوع ، و التي كانت عونا لفهمه فأهمها : عمر فروخ في كتابه : الفكر العربي و كذا كتابه تاريخ الفكر العربي و أيضا كمال اليازجي و أنطون كرم :أعلام الفلسفة العربية، و آخرون .

05- الصعوبات:

لقد واجهتني في هذه الدراسة صعوبات أهمها :

- صعوبات منهجية : تتعلق بطبيعة الموضوع النقدي الفلسفي و هذا ما يتطلب جهدا عقليا أوفر،و وقتا أطول لبحثه و إنجازه ،كما أن طبيعة المقارنة أحدثت نوعا من الصعوبة .

- صعوبات عملية : و هي عدم توفر المعلومات الكافية بشكل مباشر من المصادر والمراجع النقدية.

06- الأهداف:

أهم الأهداف التي من أجلها سعيت إلى البحث في هذا الموضوع فتتمثل في أهميته البالغة ، كما أن نقص الدراسات عنه يدعو إلى إثراء المكتبة بمثل هذه الموضوعات التي تعالج القضايا الفلسفية الإسلامية ، و المتمثلة في فكر الغزالي وكذا فكر معاصريه ، و كذلك الرغبة في التعرف على العلاقة الموجودة بين فكر الغزالي وأفكار فلاسفة المشائية الإسلامية و كشف النقاب عنها .

07- خطة العمل:

وقد اهتديت إلى بناء موضوع البحث على النحو التالي بغية الإجابة عن التساؤلات الآنفة الذكر : إذ تم تقسيمه إلى مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة.

- ففي المقدمة تم عرض أهمية الموضوع وذكر الأسباب و البواعث التي دفعتني لدراسته ،ثم طرح الإشكالية الرئيسية للبحث ، وما تفرع عنها من إشكاليات فرعية والمناهج المعتمدة فيه، وكذا الصعوبات التي واجهتني في ذلك ، و خطة البحث .
- أما الفصول الثلاثة ، فيضم كل منها عناصر :
- الفصل الأول تم تخصيصه للفلسفة المشائية و انتقالها إلى الفكر الإسلامي و يحتوي على مبحثين ، المبحث الأول يتناول مفهوم الفلسفة المشائية عند اليونان ، أما المبحث

الثاني فيتمثل في : ماهية الفلسفة المشائية في الفكر الإسلامي و يتضمن مطلبين: الأول في فكر الفارابي و الثاني في فكر ابن سينا.

- أما الفصل الثاني الذي يحمل عنوان الغزالي و النزعة النقدية للفلسفة و يحتوي على مبحثين و هي التعريف بالغزالي ثم حقيقة منهجه النقدي والذي يحتوي على ثلاثة مطالب تتمثل في مفهوم و مصادر و دوافع منهجه.
- أما الفصل الثالث فيتمثل في نقد الغزالي للفلسفة المشائية ويضم مبحثين الأول موقف الغزالي النقدي من القضايا الفلسفية المشائية والثاني أثر فلسفة الغزالي النقدية على الفكر الإسلامي وأخيرا وللإحاطة بعناصر الموضوع وأفكاره تم الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع الضرورية.
- وخاتمة حصرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها .

والله ولي التوفيق .

الفصل الأول :

الفلسفة المشائية و انتقالها إلى الفكر الإسلامي

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة المشائية عند اليونان

المبحث الثاني: الفلسفة المشائية في الفكر الإسلامي

1- في فكر الفارابي

2- في فكر ابن سينا

الفصل الاول: الفلسفة المشائية وانتقالها إلى الفكر الإسلامي

تميز عصر الغزالي بكثرة الفرق الدينية والمذاهب الفكرية؛ إذ لاحظ تعددها واختلافها في بيئته الثقافية و الفكرية مما دفعه إلى بحثها للاطلاع على أسرارها بين محق ومبطل ، و سوف تقتصر هذه الدراسة على بيان نقده للفلسفة المشائية الإسلامية ، وقبل هذا لابد من الإشارة إلى مفهومها و حقيقتها بل و أصلها عند اليونان.

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة المشائية عند اليونان:

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أهم المدارس الفلسفية التي سادت في الأوساط العلمية الإسلامية ، و تأثر بها الحكماء المسلمون . و قد درج الباحثون في تاريخ الفلسفة المشائية على التعرض لهذه المدرسة لإيضاح الفروق بينها و بين المدارس المتقدمة؛ ومن أبرز تلك المدارس : الفلسفة المشائية اليونانية.

- **سبب التسمية:**

ينقل لتسمية هذه الفلسفة بالمشائية سببان أساسيان:

الأول: نسبة لمدرسة أرسطو(384–324)ق م التي أسسها في أثينا[1] ؛وهو ما ذكره القديس أوغسطين في ترجمته لكتاب (السياسات) لأرسطو :" وأطلق أيضا على مذهب أرسطو إسم مذهب المشائين لأنه نشأ في منتزه لوقيون ولأن أرسطو كان يلقي بعض دروسه و هو يتمشى مع طلابه،في أحد الرواقين اللذين قاما على مقربة من معبد صغير لإلاهات الشعر و الموسيقى واقع ضمن الحديقة."[2] هذا اللوقيون (الليسيه) بالقرب من معبد الإله أبو للون (الإله الذئب – إله الرعاة–) وسط حديقة غناء و طرقات مسقوفة. [3]

1 راجع : بيتر كونزمان فرانز و آخران: أطلس الفلسفة ، تر :جورج كتورة ، ص47 ،ط 1، بيروت ،2001 .

2 أرسطو : السياسات : ترجمة أوغسطين البولسي ، ص 40 : القاهرة ، 2001

3 راجع : مصطفى النشار : فلسفة أرسطو و المدارس المتأخرة ، ص 20 ، القاهرة ، 2006.

كما يذكر صاحب الملل و النحل: " أما المشاؤون بشكل مطلق فهم من أهل لوقيون وأفلاطون لاحترامه الحكمة كان يعلمها دائما و هو في حال المشي ، و تبعه على ذلك أرسطو، و من هذا الباب سمي الظاهر أنه أرسطو) و أتباعه بالمشائين ."[1]

والمعنى من ذلك أن المدرسة التي أنشأها أرسطو في أثينا و كان يمارس التعليم فيها ، أصبحت تنافس الأكاديمية – التابعة لأفلاطون – و كذا المدارس الأخرى اليونانية.

الثاني: إن أتباع هذه المدرسة يتبعون المنهج العقلي – على ما سيأتي توضيحه – وهو أنهم يسيرون من المقدمات ليشكلوا الدليل حتى يصلوا إلى النتيجة ، وهم يرفضون أي منهج آخر ، و لذا فهو المشي العقلي و سموا بالمشائين (وإذا أردنا أن نستعمل كلمة وتسمية تحمل في طياتها طريقتهم الفلسفية فلا يوجد أفضل من كلمة الاستدلاليين) [2] .

وهذا يعني أن المدرسة الأرسطية تتسم بميسم العقلانية باستنادها إلى البرهان العقلي في التدليل على مطالبها؛ أي أنها تسير على منهج برهاني قياسي في الاستدلال لوضع المسائل في قالب عقلي استلالي محض.

ومنه فقد اختلف المؤرخون حول الفرق بين الفلسفتين المشائية péripatétisme والأرسطية Aristotélis ، فإن أغلبهم يؤرخ للأولى في عام 323 ق.م حين تولى ثيوفراسطس Théophrast(370–288) ق.م تلميذ أرسطو رئاسة (اللوقيون) فقد

1 الشهرستاني : الملل و النحل ، ص 369 ، ط 2 بيروت ، 1992.

2 مظهري مرتضى : مدخل إلى الفلسفة ، ص 111 ، 2007

ظل أرسطو كذلك ثلاثة عشرة سنة يدير مدرسته ، يحرر كتبه ، وأشهر مؤلفاته وأهمها كتب في هذا العهد أما الفلسفة الأرسطية فتاريخها ينطلق منذ انتماء أرسطو للأكاديمية عن عمر يناهز الثامنة عشر ولمدة عشرين عاما .[1]

من خلال هذا المعنى يتضح أن أرسطو بعد عودته إلى أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد استطاع تأليف وصياغة الفكر المشائي الذي استمر بمواصلة مفكري المشائية بحوثهم المتافيزيقية والطبيعيـــــة والأخلاقية الأرسطية مفسرين و شارحين الفلسفة الأرسطية حتى القرون الميلادية الخمسة الأولى؛ و الذي يمثل خلاصة التطور الفكري الأرسطي بعد انفصاله عن الأكاديمية . وقد استشهد ابن سينا على ذلك بقوله: (و لا نبالي بمفارقة منا لما ألفه معلمو كتب اليونان ألفا عن غفلة وقلة فهم ، و لما سمع منا قي كتب ألفناها للعاملين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين.)[2]

ومن خلال هذا النص يتضح أن ابن سينا يقر بفضل أرسطو و فلسفته المشائية لتنبهه لما غفل عنه سابقوه وإدراكه كثيرا من العلوم ، وكذا يعلن عن اكتشافه للفلسفة المشائية و عزمه على جمع ما اختلف فيه من بحث منذ الأقدمين .

---

1 راجع : الموسوعة الفلسفية المختصرة : تر زكي نجيب محمود ص 40 ، بيروت.

2 ابن سينا : منطق المشرقيين ، ص 2 ، ط 2 ، قم ، 1910 .

ولم تكن هذه المدرسة ذات نظام صارم فطلبته يتعلمون و يتناولون مع أستاذهم الطعام ، وكان تحت تصرفه ألف رجل في أنحاء آسيا و اليونان يجمعون له النماذج و العينات الحيوانية و النباتية من كل أرض امتثالا لأمر الإسكندر المقدوني إذ كان يرسل إليه من آسيا أموالا طائلة و نماذج حيوانات نادرة ؛ إذ أنشأ أول حديقة حيوانية عظيمة شاهدها العالم. [1]

والمعنى أن أرسطو أنشأ أول معمل للتاريخ الطبيعي في العصر القديم حيث كان العمل كثيرا والبحث شاملا جميع فروع العلم ؛ حيث ظلت مدرسته مركزا للدراسات العلمية والفلسفية.

ويقال أن دروسه كانت نوعين : صباحية مخصصة للتلاميذ تدور على الفلسفة، ومسائية عامة تدور على الخطابة ، ويذكر كذلك أنه أنشأ مكتبة كانت الأولى من نوعها في العصر القديم [2] .

مما يعني أن دروسه الصباحية كانت مقتصرة على فئة خاصة من المهتمين والمشتغلين بالمسائل الفلسفية العويصة على حين أن الدروس المسائية كانت تجذب أسماع الجمهور عموما .

---

1 راجع : ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، ص 73 ، ط6 ، بيروت 1988.

2 راجع : محمد عبد الرحمان مرحبا ، مع الفلسفة اليونانية ، ص 151–153 ، ط 3 ، بيرون –باريس ، 1988.

- **أبرز تلاميذ المدرسة المشائية اليونانية :**

ولقد استمرت " مدرسة أرسطو المشائية" بأثينا بعد وفاته ، و ذلك تحت رئاسة تلامذته ، ولقد كان ثيوفراسطوس(371-286) ق م من أبرزهم ، على أن هذا التراث الأرسطي القوي المميز خبت جذوته بعد وفاته ؛ إلى أن تم إحياء هذا التراث حوالي النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد مع نشر أعمال أرسطو من لدن أندرونيقوس الروديسي عام(87-48)ق م بروما ، وبعمله هذا فإنه كان الرجل الذي أرسى أسس التقليد الفلسفي الأرسطي على رأس المدرسة المشائية، و من هذه الحقبة فصاعدا بدأت السلسلة المديدة من الشراح الذين أفنوا أنفسهم على الدراسة النسقية المنظمة لدروس أرسطو كمداخل إلى العمل الفلسفي و استعدادات أولية إلى الإقبال على تعلم مبادئ الفلسفة الأرسطية ، إذ مزجوا آراء أرسطو بآرائهم الفلسفية ، على أن عهد الأسكندر كان قد تميز بإرساء أسس التقليد الفلسفي الأرسطي و تحوله نحو وجهة اللاهوت [العناية بمبحث الإلهيات] وذلك لإرضاء اهتمامات عصره الميتافيزيقية عبر انعطاف فكره بالنظر في الشأن الإلهي [1].

1 راجع : أحمد فؤاد الأهواني المدارس، ص ص 58-61 ،القاهرة ،1965.

يظهر إذن أن بعد وفاة أرسطو يعد المؤسس الثاني للمدرسة المشائية هو ثيوفراسطوس الذي أتم أعمال أرسطو في جميع المعارف التي كانت متداولة داخل المدرسة المشائية و على رأسها كتب المنطق و اللاهوت.

- **أهم مميزات المدرسة المشائية اليونانية :**

إذ تميزت هذه المدرسة بالمميزات الآتية :

الأولى : المنهج العقلي الذي يعتمد عليه في المسائل الفلسفية المختلفة في هذه المدرسة التي حاولت إستخراج مسائلها من المبادئ العقلية عبر الطرق المنطقية

الثانية : الروح العامة التي تحكم هذه الفلسفة هي الاهتمام بالإلهيات خصوصا .

الثالثة : محاولة هذه الفلسفة ربط أبحاثها الفلسفية بقضايا الإنسان الأخلاقية.[1]

والمقصود إذن أن أرسطو إبتكر منهجه في المنطق لدراسة الفلسفة و تفسير الموجودات وعللها بالتفكير الصحيح .

---

1 أنظر :علي بوسلمان الجبيلي : نظرة في تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص 17، ط1 ، بيروت ، 2015

المبحث الثاني: الفلسفة المشائية في الفكر الإسلامي

لقد زخرت الفلسفة الإسلامية ، أو التراث العقلي و الفكري للمسلمين ، بالاتجاهات أو التيارات المتنوعة : من كلامية و صوفية و فلسفية . و سنحاول في هذا المبحث دراسة وكشف معالم المدرسة المشائية الإسلامية و أهم سماتها و رجالها و أفكارها دون نسيان الإشارة إلى التأثير الواضح للفلسفة الأرسطية فيها لقرون متوالية و ذلك لأسسها المنطقية والعقلية و قالبها العلمي الدقيق .

ففي عهد الترجمة الإسلامية برز فلاسفة عرب مسلمون نقلوا الفلسفة اليونانية إلى الأوساط الإسلامية كما نقلوا فلسفات و أفكار سابقة و طوروا قواعد و طرق تشكل مدرسة مستقلة ؛ لذا ينبغي التعرف على خصائص مميزات هذه المدرسة .

- **مميزات المدرسة المشائية الإسلامية :**

لقد زخرت الفلسفة الإسلامية بالتراث العقلي و الروحي و بالتيارات الفكرية المتنوعة من كلامية ،صوفية و فلسفية مشائية، و هذه الأخيرة التي عالجت المشاكل التقليدية الكبرى و هي مشكلة الإله و العلم و الإنسان ؛ متأثرة ببيئتها مستعينة بالدراسات الفلسفية السابقة ، إذ تمتاز بوجه عام بالمميزات الآتية :

1- **فلسفة دينية و روحية** : أي الاهتمام بالإلهيات وخصوصا أبحاث الفلسفة الأولى.

2- **فلسفة عقلية** : إذ تعتمد على مرونة العقل الإسلامي في تحقيق المسائل الفلسفية لاستخراج المسائل من المبادئ العقلية عبر الطرق المنطقية .([1])

3 – **فلسفة توفيقية**:إذ توفق بين الفلسفات القديمة و اللاحقة ، و بين آراء الفلاسفة مادامت الحقيقة هدفهم جميعا خاصة بين أفلاطون أرسطو للجمع بينهما ، كما حاولت التوفيق بين النقل و العقل كوشيجة من وشائج التقريب بينهما .

4 **فلسفة وثيقة الصلة بالعلم** : الواقع أن العلوم الطبيعية و الرياضية وثيقة الصلة بالدراسات الفلسفية المشائية في الإسلام إذ استندت إلى العلوم العقلية و البحوث العلمية والنظريات الطبيعية لمعالجة مسائل فلسفية عامة و ميتافيزيقية خاصة وكمثال على ذلك كتاب الشفاء لابن سينا كأكبر موسوعة فلسفية علمية. [(2)]

أي أن استناد المدرسة المشائية الإسلامية إلى مصادر خارجية علمية أهمها الفلسفة الإغريقية خاصة منها المشائية قد كسبها مرونة العقل و القدرة على استيعاب روح نقدية للتفتح على كل جديد.

---

1 راجع : حسن الشافعي : التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية ص 8-9 القاهرة 1989 .

2 راجع : أبو يعرب المرزوقي : تجليات الفلسفة العربية ص 224 ، ط 1 ، دمشق ، 2001 .

- **أهم فلاسفة المدرسة المشائية الإسلامية :**

درج قصر اسم الفلسفة الإسلامية المشائية (الكلاسيكية) على تيار معين من الفلاسفة وهو الذي طور تقاليد الفلسفة اليونانية ، و كان أبرز روادها كبار فلاسفة الإسلام الفارابي وابن سينا اللذان سيكونان محط الاهتمام في هذا المبحث باعتبارهما الأكثر موسوعية وتأثرا بأرسطو .

1- في فكر الفارابي

يعود الفضل في تأسيس المشائية الشرقية (الإسلامية) و العرض المنظم لأفكارها إلى أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي الذي ولد سنة 260 هـ/874 م ويعرف بالمعلم الثاني لدراسته كتب أرسطو (المعلم الأول) وشرحه لها، الذي ولد في مدينة "فاراب" في تركستان حيث كان والده تركياً من قواد الجيش، وفي سن متقدمة درس الفلسفة، والمنطق، والطب على يد الطبيب المسيحي يوحنا بن حيلان، كما درس العلوم اللسانية العربية والموسيقي حيث التحق بقصر سيف الدولة في حلب واحتل مكانة بارزة بين العلماء، والأدباء، والفلاسفة، وبعد حياة حافلة بالعطاء في شتى علوم المعرفة طوال ثمانين سنة، توفي الفارابي بمدينة دمشق سنة 339هـ/950م.[1]

1 راجع :أرثور سعدييف و توفيق سلوم : الفلسفة العربية الإسلامية ، ص 129 ، ط 1 ، بيروت ، 2000 .

إذن ليست العبرة في تاريخ الحكماء بحياتهم الخاصة ولكن الأكيد أن الفارابي عاش عيشة الحكماء إلى أن توفي.

والإجماع واقع على أن الفارابي أول الفلاسفة الكبار في الإسلام ، و قد عرف بأنه فيلسوف المسلمين و أقربهم إلى فهم أرسطو؛ و هو أول من حمل المنطق اليوناني تاما منظما إلى العرب ؛ فقد أعجب بأرسطو

فشرح كتبه المنطقية و علق عليها حتى سمي المنطقي و المعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأول ، لذا عده الغزالي من الناقلين.[1]

هذا يعني أن اهتمام الفارابي بالمنطق و شرحه لمؤلفات أرسطو المنطقية هو سبب إطلاق لقبه ذاك.

ومن خصائص فلسفة الفارابي أنه حاول التوفيق من جهة، بين فلسفة أرسطو وفلسفة أفلاطون، ومن جهة أخرى بين الدين والفلسفة، كما أنه أدخل مذهب الفيض في الفلسفة الإسلامية ووضع بدايات التصوف الفلسفي.[2]

من خلال هذا يفهم أن الفارابي لاحظ بدقة المسائل التي حولها اختلف كل من أفلاطون و أرسطو محاولا بذلك الفصل فيها

---

1 أنظر :عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام بن خلدون ، ص 353 ، ط4 ، بيروت ، 1983 .

2 راجع : الفارابي : الجمع بين رأيي الحكمين علق: البير نصري نادر ، ص : 73 ، ط 2 ، بيروت ، 1968

فقد وضع الفارابي عددا كبيرا من الكتب و الرسائل و الشروح . و كان شارحا مبرزا للمنطقيات اليونانية ، وأول فلاسفة الإسلام الذين ألفوا كتابا في التوفيق بين آراء أفلاطون و أرسطو وهو (الجمع بين رأيي الحكيمين) و الأول في تصنيف العلوم وهو (إحصاء العلوم) ، كما ألف رسائل مستقلة ، و لكن الذي أشتهر في تاريخ الفلسفة هو رسائله في الأخلاق و السياسة ، كما ألف كتبا: (آراء أهل المدينة الفاضلة) ،(التوطئة في المنطق)، (كتاب الموسيقى الكبير)، (السياسة المدنية والتعريف بأغراضها) وغيرها.([1])

إذن إن ما تبقى من مؤلفات الفارابي المنطقية والفلسفية وشروحه لأرسطو جعل منه مفكرا إسلاميا ملقبا بالمعلم الثاني وكان له أثر كبير في الفكر عموما فهو أكبر المفكرين المسلمين تأثيرا في أشهر الفلاسفة المسلمين و أوسعهم إنتاجا و أثرا في المشائية الإسلامية إذ انتفع غيره بكلامه و تصانيفه.

1 راجع : مصطفى حسيبة : المعجم الفلسفي ، ص : 36 ، ط 1 ، الأردن ، 2009.

2 – في فكر ابن سينا

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سيناء، الملقب بالشيخ الرئيس، أشهر أطباء العرب، ومن أعظم فلاسفتهم، فارسي الأصل، نشأ في ولاية ما وراء الأنهر .كان أبوه من أهل بلخ، طاب له المقام في بخارى لعهد نوح بن منصور، أحد أمراء الأسرة السامانية، عين واليًا لخرميتان إحدى عواصم بخارى. تزوج عبد الله والد علي من امرأة من أفشنا، وهو بلد صغير على مقربة من خرميتان، فأنجبت له عليًّا في شهر صفر عام 370للهجرة أغسطس سنة ،980 م ببضع سنين عاد به أبوه إلى بخارى وعني بتربيته .

ذكر ابن سينا عن تهذيبه أنه في العاشرة من عمره كان قد استظهر القرآن وألم بجزء صالح من العلوم الدينية، ومبادئ الشريعة الغراء، وعلم النحو. وكان الناس يعجبون بحفظه وبذكائه السابق لأوانه، وكان أبوه يضيف في منزله عالما اسمه عبد الله ناتيلي، فوكل إليه تهذيب ولده، ففاق التلميذ أستاذه وانقطع عليٌّ للدرس بمفرده، فخاض غمار الرياضيات والطبيعيات والمنطق وما وراء الطبيعة، ثم أكب بعد ذلك على درس فن الطب على أستاذ مسيحي اسمه عيسى بن يحيى.(1)

1 راجع :محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام ، ص : 71، القاهرة ، 2014.

إذن كان ابن سينا عالما وفيلسوفا وطبيبا وشاعرا، ولُقِّب بالشيخ الرئيس كما عرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وكان سابقا لعصره في مجالات فكرية عديدة؛ إذ كان له ريادات في العديد من العلوم والفنون.

كان لابن سينا تأثير واسع النطاق ، إذ نال علمه تقديرا عظيما حتى في الغرب وكان تأثيره في الفلسفة النصرانية في القرون الوسطى عظيم الشأن ، خاصة في الطب إذ برز كتابه(القانون) و هو أشهر كتبه الطبية و له أرجوزة في(الوصايا الطبية) و أرجوزة في(أسباب الحميات) و أرجوزة في(التشريح) و رسائل في (علل الكلى) و رسالة (قولنج من مجموع نوادر الطب) و غيرها كثير. [1]

كما يعد (الشفاء) من أعظم كتبه في الفلسفة على الإطلاق إذ ألفه لعموم الناس كموسوعة فلسفية ، كما أن (منطق المشرقيين) صنفه للفلاسفة أمثاله ،وكذا (النجاة) و ملخص للشفاء ما ألف (الإشارات والتنبيهات) كما كتب (الهداية) و (المباحثات) و(الحدود) و رسائل عديدة. [2]

إذن ترك ابن سينا مؤلفات متعددة شملت مختلف حقول المعرفة في عصره إذ فرع العلوم الأصلية إلى فروع و توابع.

---

1 أنظر ت .ج .دي بور : تاريخ الفلسفة الإسلام ، تعليق : محمد عبد الهادي أبو ريده ، ص 226 ، ط 3 ، القاهرة ، 1954.

2 راجع : ابن سينا : منطق المشرقيين : ص يو إلى كا ، ط 2 ، قم ، 2012

يتفق مؤرخو الفكر الإسلامي قديما و حديثا على المكانة الخاصة التي احتلها الشيخ الرئيس بين المفكرين المسلمين ، بل لقد احتل الرجل مكانة عالمية بين أعلام الفكر الإنساني ؛ إذ احتل في الأدب العالمي – شرقيه و غربيه– مكانة لم تتح إلا لأفراد قلائل من العباقرة الأفذاذ.

الفصل الثاني:

الغزالي و منهجه النقدي للفلسفة

المبحث الأول: التعريف بالغزالي

المبحث الثاني : حقيقة المنهج النقدي عند الغزالي

1- مفهوم المنهج النقدي عند الغزالي
2- مصادر المنهج النقدي عند الغزالي
3- دوافع المنهج النقدي عند الغزالي

الفصل الثاني : الغزالي و النزعة النقدية للفلسفة

إن دراسة فكر ما تتطلب دراسة الذين أقاموا دعائمه ، وشادوا بنيانه ، فيدرسون دراسة تبين فيها المسالك التي سلكوها ، والمقاييس التي قاسوا بها الأشياء ، وأوصلتهم إلى النتائج التي و صلوا إليها ، والبيئة التي أثرت في نفوسهم ، وأظلتهم ، ثم وجهتهم مع مواهبهم إلى الوجهة التي اختاروها ، و الآراء التي ارتئوها .

ولذا فإن دراسة حياة الغزالي أمر لابد منه لمن يرغب بلوغ الغاية من علمه ونقده ؛ ذلك أن فيها تتبع لتكوينه الفكري ، و نشأته العلمية التي هي متابعة أدوار حياته وبالتالي تتبع الدواعي التي جعلته يؤلف كتبه النقدية و استشعار أفكاره ؛ و بذلك يمكن إدراك فكره تماما و يكون الحكم على آرائه حكما صحيحا .

إن دراسة حياة الغزالي تبين الحدود التي تعين لنا مذهبه و منطقه ، كما توجب معرفة مذهبه من بعده ، و كذا ثروته العلمية ، و هو ما يبين مقدار أفكاره.

كل هذا يدفعنا إلى دراسة حياة الغزالي ....

المبحث الأول: التعريف بالغزالي : حياته ، عصره ، فكره، ومؤلفاته.

أولا : حياته

أهم ما يسجل عند ذكر اسم الغزالي ، هو كثرة من كتب عنه[1] ؛ ذلك أنه إمام وعالم لقبه أبناء دينه " حجة الإسلام" ، متعدد المواهب ، له معرفة بالفقـه و التفسير والحديث و الأصول ، كما أن له دراية بالمنطق و الفلسفة ، و له اهتمام بالجدل والمناظرة ، وله كذلك في الفراسة و فنون الذكاء ؛ كل هذا جعل هذه الشخصية من أكثر الشخصيات شهرة في العالم الإسلامي ؛ تدور حولها الدراسات و تسلط نحوها الأضواء.[2]

1- نسبه :

هو محمد ابن محمد ابن أحمد أبو حامد الطوسي الغزالي ، كان والده يغزل الصوف و يبيعه في دكانه.على هذه السلسلة النسبية اتفق جميع المؤرخين بلا خلاف .[3]

---

1 راجع : من القدماء : أبو بكر ابن خلكان (608-681) هـ في كتابه " وفيات الأعيان" ، تحيق: إحسان عباس ، بيروت ، ج 3 ، ص 353 و ما عدها . و من المحدثين : نودين أبو لحية :" في كتابه الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي" ، ط 2 ، 2016. وكذا عبد الرحمان بدوي في كتابه "مؤلفات الغزالي" ط 2 ، الكويت ، 1977.

2 إنظر :جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص 429 ، ط 3 ، بيروت ،2006

3 راجع : أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، تقديم صدقي محمد جميل العطار ،ص 3 ، بيروت ، 2001

2 – مولده :

اتفقت الروايات أنه ولد سنة 450 هـ –1058 م ، بطوس بمقاطعة خراسان(شمال شرق فارس)؛سنة وفاة أبي الطيب الطبري الفقيه المناظر فعوض الله إمام بميلاد أمام ([1]). و كان أبوه فقيرا صالحا لا يأكل إلا من كسب يده و يطوف على المتفقة يجالسهم و كان إذا سمع كلامهم بكى و تضرع و سأل الله أن يرزقه و لدا و يجعله فقيها واعظا فاستجاب الله دعوته. [(2)]

إذن فالغزالي متكلم،فقيه ، عالم ، فيلسوف و متصوف من أبرز مفكري العصر الذهبي في الإسلام.

3– نشأته و طلبه للعلم :

عرف الغزالي بميله للتنقل و كثرة أسفاره طيلة مسيرة حياته ، التي يمكن تحديده بخمسة مراحل ؛ وهي :

بداية كانت عبارة نشأة الغزالي ببلده حيث قرأ في صباه طرفا من الفقه على أحمد بن محمد الراذكاني كانت تلك هي تربية الغزالي الأولى وهي أمثل تربية عربية في ذلك العصر ، حفظ للقرآن و طلب للحديث ، و تعلم للفصحى .

---

1 أنظر : عبد الكريم عثمان : سيرة الغزالي ، ص 143 ، دمشق .

2 راجع ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 4 ، ص 11 ، ط 6 .

ثم كانت مرحلة ثانية فيها سافر إلى جرجان أبي نصر الإسماعيلي و علق عنه التعليقية ثم رجع إلى طوس و أقبل على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظ جميع ما علقه.

وتلت ذلك مرحلة ثالثة ؛ وفيها قدم الغزالي نيسابور و لزم إمام الحرمين حتى برع المذهب و الخلاف والأصلين والجدل و المنطق ؛ وقرأ الحكمة و الفلسفة و أحكم كل ذلك ،وفهم كلام أرباب هذه العلوم و تصدى للرد عليهم و إبطال دعاويهم، إذ كان شديد الذكاء عجيب الفطرة مفرط الإدراك فصنف فكل فن من فنون العلوم .

أما المرحلة الرابعة ؛ فتمثلت في خروجه إلى العسكر قاصدا للوزير نظام الملك،إذ ناظر الأئمة والعلماء في مجلسه وقهر خصومه وولاه تدريس مدرسته ببغداد سنة 484 هـ.

ثم في المرحلة الخامسة قصد بيت الله الحرام ، فحج و توجه إلى الشام سنة 488 هـ وجاور بيت المقدس ، ثم عاد إلى دمشق و اعتكف في زاويته بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه.

وبهذا نال الغزالي الشهرة بنشر علمه و أرائه و فقهه ، فتلقى عنه العلم علماء كثيرون ، ثم ناله الموت يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة 505هـ و قد بلغ من العمر خمس وخمسين عاما ، حيث كانت وفته بطوس [1]

1 راجع : أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، تقديم صدقي محمد جميل العطار ،ص 6 ، بيروت ، 2001

إذن يمكن فهم أن منحى حياة الغزالي الفكرية هي التي مكنته من ترك بصمات عميقة الأثر لا يمكن إنكارها في الحضارة الإسلامية .

04 : شيوخه:

1 – إمام الحرمين الجويني: هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ت (478هـ) نسبة إلى جوين بنواحي نيسابور، أحد كبار فقهاء الشافعية، ومجدد المذهب الأشعري مضموناً ومنهجاً، درس على أبيه أبي محمد الجويني وأتى على جميع مصنفاته ، وعندما توفي أبوه جلس مكانه في التدريس وكان عمره عشرين سنة ، ثم رحل إلى بغداد ثم مكة ودرَّس فيها، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له نظام الملك المدرسة النظامية فيها

2 – أحمد بن محمد الطوسي الراذكاني: وهو أول مشايخ الغزالي في الفقه، تفقه عليه في طوس قبل رحلته إلى إمام الحرمين [1].

3– أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل بن أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني من أهل بيت علم وفضل ورياسة بجرجان، كان صدراً وإماماً وفقيهاً شافعياً محدثاً وعالماً

(1) أنظر :طبقات الشافعية الكبرى / 4/ 91 و6 / 195.

كبيراً، وواعظاً بليغاً كان يعرف الأدب وله يد في النظم والنثر، وكانت داره مجمعاً للعلماء، توفي بجرجان سنة 477هـ . بعد أن عاش سبعين سنة (1).

05 – أطواره الفكرية

إن ما نجم عن نشأة الغزالي العلمية هو أطواره الفكرية التي ترتكز دراستها بالدرجة الأولى على ما تركه من كتب و آثار ؛ من أبرزها اعترافا كتابه(المنقذ من الضلال) الذي أودعه و صفا مسهبا لمعاناته في طلب الحق و ما كابد من مراحل متباينة ليبلغ قناعاته الفكرية وهي ثلاثة أطوار:

طور الشك : يقول الغزالي " كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي و ديداني من أول أمري و ريعان عمري ، غريزة و فطرة من الله و ضعتا في جبلتي ،... إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر ؛ و صبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، و صبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام ... فتحرك باطني إلى حقيقة الفطرة الأصلية...."(2)

يفهم من هذا النص أن الغزالي يرى أن التقليد لا يمكن أن يؤدي إلى اليقين لارتكاز المعرفة على الإيمان باعتباره مبدأ المعرفة و نقطة الانطلاق ؛ مما أثار شكوكه قرابة شهرين وهو طريح الفراش .

---

(1) راجع : طبقات الشافعية الكبرى / 4 / 294

2 مجموعة رسائل للإمام الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص 538 ، بيروت ، 2000.

طور اليقين : و هو تحديد العلم اليقيني الذي ينبغي وضع شروط و أسس للبحث عنه،قصد الرجوع إلى الإيمان الحق و إدراكه بالعقل فكان ذلك (بنور قذفه الله تعالى في الصدر)[1].

طور العلم اليقيني : قال الغزالي:" أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ."[2] بعد أن تخلص الغزالي من براثن دوامة الشك حاول فج صفوف الفرق منتقدا إياها مفندا حججها ليخلص بذلك إلى أسلم الطرق عنده و هي الصوفية ليهتدي بذلك نور اليقين .

ويقصد بذلك علو همته و سمو رفعته في إرادة التماس الحق و بلوغ اليقين و هذا لا يكون إلا لطبقة الصفوة ممن ينشدون ذلك.

6 – مكانته العلمية :

كما يلاحظ أيضا أن الغزالي تتلمذ على يد كبار علماء عصره و مفكري زمانه و قد اتفق جميعهم على علمه و فقهه و إمامته في الفقه و الحديث و اللغة ، و على أوليته في أمور لم يسبق بها.

---

1 مجموعة رسائل للإمام الغزالي : ص 538 ،

2 المصدر نفسه ، ص539 .

وقد كثر مدح الغزالي بصورة يعجز هذا الموجز عن حصرها ، فهذا إمام الحرمين شيخه يثني عليه بقوله: " الغزالي بحر مغرق". كما قال الإمام محمد بن يحي :" الغزالي هو الشافعي الثاني"[1]

وقال عبد الغافر الفارسي عن الغزالي: " محَمَّدُ بْنُ محَمَّدِ بْنِ محَمَّد أَبُو حامد الغَزالِي الطوسيُ ، حجةُ الإسلامَ والْمُسلِمينِ ، إَمام أَئَّمِةّ الدينَ ،منَ لْم تَرَ الُعيُونِ مْثَلَهُ لسانا، و بَيانا، وُنطقًا وخاطرًا، وِذْكًرا ، وَ طْبًعا، شَدا طَرَفا في صَباهُ بطوس مَن الِفْقِهَ عَلى الإمام أَحمَدَّ الراذَكاني"(2)

ومن المعاصرين يقول فيه عباس محمد العقاد :" والواقع أن حجة الإسلام رضي الله عنه لم تكمل له أداة قط كما كملت له أداة الفلسفة، فهو عالمٌ ، وهو فقيهٌ ، وهو متكلم، وهو صوفيٌّ ولا مراء، ولكن هذه المطالب لا تستغرق كل ملكاته ووسائله إلى المعرفة، وقد يبلغ فيها غايتها ببعض تلك الملكات والوسائل، وتبقى له بعدها ملكة لا ضرورة لها في غير الفلسفة وحدها، وأوجز ما يقال عنها بكلمة واحدة :أنها هي ملكة التجريد." [3]

---

1 أنظر :أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، ،ص 4.

2 بد الغافر الفارسي: " المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص 76 ط 1، بيروت، 1989 .

3 عباس محمود العقاد : فلسفة الغزالي : ص 6 ، القاهرة ، 2013 .

كما قال فيه أحمد أمين: "فهو ذو شخصية طبيعية ممتازة، ثم هو مثقف ثقافة واسعة يعرف كثيرًا من الفلسفة. وتعاليم المتشيعة، أو بعبارة أخرى: مذهب الباطنية، والفقه الشافعي، والتصوف، ثم هو بعد أن جمع ذلك كله كانت له قدرة فائقة على التعبير، كما يدل عليه كتاب الإحياء."[1]

إن كل ما سبق ذكره عن الغزالي يرسم صورة الطالب المتعطش لمختلف العلوم في عصره ، حيث ترتسم صورة المفكر الفقير الطموح .

ولنترك تلك الشهادات جانبا – و إن كانت غيضا من فيض– برغم مكانتها القيمة ، لنجد شهادة أقوم دليلا ، و أوضح بيانا ، و هي ما تركه الغزالي من آثار و أفكار، و فيها أكبر دليل على مقدار .

ثانيا : عصره

نشأ الغزالي في منتصف القرن الخامس الهجري ، وتوفي في بداية القرن السادس للهجرة كما سبق ذلك – وبذلك يكون قد عاش وترعرع في العصر العباسي، وكانت فترة حياة الغزالي هي فترة تموج بمختلف الآراء وشتى النزاعات وكل فريق يزعم أنه الناجي. فشهد عصره الجدل والنقاش، ونشوء الكثير من المدارس الفكرية المتميزة بأغراضها

1 أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ص 859 ، القاهرة ، 213

الدعائية (المذهبية والسياسية) وهي إلى جانب هذا مثلت مركز إشعاع علمي بلغت فيه العلوم والمعارف الذروة. فكان علم الكلام بمدارسه المختلفة، وكانت المذاهب المتعددة الدينية والفلسفية، وكان التصوف، إذ نشطت في ذلك العصر حركة الترجمة و تولاها الخلفاء العباسيون بالتشجيع ، و زخرت اللغة العربية بإرسالات فكرية يونانية و سريانية . وغيرها([1]) وقد اعترف الغزالي أنه خاض غمار هذه جمعاء خوض الجسور، وتفحص كل عقيدة واستكشف أسرار كل طائفة، ولا فرقة ولا مذهب إلا واطلع على غوائله وعلم حاصل ما لديه ، ولقد كان لكل هذا أثره في الفكر الإسلامي ، فقد كان هذا العصر عصر جدل ، حيث كان علم الكلام في عصر الغزالي قائما على تعليم المعتزلة[2] و أساليبهم ، و مما يسجل أن الغزالي قد بغض ذلك العلم و استنكر الاشتغال به ، ذلك أنه لا يفهم منه إلا الصورة التي رآها في المعتزلة ، لذلك نستطيع أن نقول إن أثر المعتزلة في الغزالي كان سلبيا في جملته ، إلا أن له جانبا إيجابيا ، وهو مسلكه في الجدل الفقهي و قوة احتجاجه ، فقد كان يجادل بعض فقهاء الرأي من أصحاب المعتزلة ، الذين مارسوا الجدل و أتقنوه ، فيتميز بطرقه في الجدل ، و كيف يأتي الخصم ، و كيف ينتزع الحجة من أقواله ، وهذا ما اشتهرت به كتبه.[3]

---

1 أنظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام ،ج 2 ،ص 106،ط 3 ، القاهرة، 1952 .

2 المعتزلة :هم جماعة من المتكلمين ن أقاموا مذهبهم على النظر العقلي ، على خلاف أهل السنة الذين كانوا يأخذون بظاهر الحديث (فؤاد كامل و آخرون : الموسوعة الفلسفية المختصرة،راجعها زكي نجيب محمود،ص434 ، بيروت).

3 راجع : محمد عابد الجابري :تكوين العقل العربي ، ص63 ، ط1 ، بيروت ،1984.

ولقد امتاز العصر العباسي بتدوين السنة و الفقه و التفسير و النحو و اللغة و الترجمة ، و صار لكل علم علماء يختصون فيه ، و يضبطون قواعده ، حتى صارت الدولة العباسية تزهــو بحضارتها على كل

حضارة سبقتها ؛و كان من أحسن ما كتب المتكلمــون : كتاب " البرهان" لإمام الحرمين ، و" المستصفى" للغزالي ، و هما من الأشعرية .[1]

ولا شك أن ذلك كان له الأثر الكبير في ثقافة الغزالي ، و فلسفته النقدية .

ثالثا : فكره و انتشاره

من سياق ما ذكر يستفاد أن الغزالي قد تلقى العلم على عدة شيوخ أصحاب مذاهب ونزعات مختلفة ، و بذلك يكون قد تلقى علم أكثر المذاهب التي قامت في عصره ؛ إذ قرأ في صباه طرفا من الفقه على أحمد بن محمد الراذكاني ثم سافر إلى جرجان و لازم إمام الحرمين الجويني ، و جد و إجتهد ، حتى برع في الفقه و علم الخلاف و الجدل وأصول الدين وأصول الفقه ، و أحكم دراسة المنطق و الفلسفة ،و قرأ الحكمة و وقف على مذاهبها.[2] ، و فهم كلام أرباب هذه العلوم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفـها و أجاد وضعها و ترصفيها. هكذا اجتمع له علم مكة و الشام، و مصر ، والعراق

1 .راجع : بن خلدون : المقدمة ، ط 1 ، ص437 ، بيروت ، 2003.

2 أنظر :محمد سعيد رمضان البوطي : شخصيات إستوقفتني ، ص 84 ، ط1، دمشق ، 1999.

،ولم يجد حرجا في أن يطلب العلم عند من اشتهر بالاعتزال ، و إنساغ كل ذلك العلم الكثير في نفس الغزالي فكان منه ذلك المزيج الفقهي الفلسفي المحكم ، الذي تولدت منه تلك المعاني الكلية التي صهرها الغزالي ، و قدمها متمثلة في ولادة فكر جديد بين عمالقة الاجتهاد في القرن الخامس الهجري؛ إذ نشأ الغزالي و العالم الإسلامي يموج بمختلف الآراء و شتى النزعات ، و كل فريق يزعم أنه الناجي، و كل حزب بما لديهم فرحون .[1]

قال بن خلدون :"و ربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة في ما خالفوا فيه من العقائد الإيمانية ، و جعلوهم من خصوم العقائد ، لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة و مذاهبهم وأول من كتب في طريفة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله". [2]

إنما علم الغزالي و استمر نموه حين ألف كتبه في الفقه ، وبدأ ينشر علمه فاستطاع أن يدون فقها و ينشر أراء ، ويؤسس فكرا ، وهو الذي كتب كتبه بنفسه وأملاها على تلميذه كغيره من كبار الأيمة .[3]

---

1 راجع :الغزالي : تهافت الفلاسفة ، تح : سليمان دنيا ، ص 49 ، ط 4 ، القاهرة ، 1966.

2 . بن خلدون : نفس المصدر ، 447.

3 راجع .شوقي عبده الساهي : المدخل لدراسة الفقه الإسلامي ، ص197 ، ط1، القاهرة ، 1989.

كل هذا يعني أن علم الغزالي الجديد أو ملخص فلسفته ، يعتمد على طريقة خاصة في فهم استنباط الأفكار أي أنه يستدل بالحجة و الدليل على المراد ثم يدافع عن ذلك دفاعا قويا .

رابعا : مؤلفاته

أَلَّف الغزالي كتبا كثيرة ، بعضها كتبه بنفسه و قرأه على الناس ، أو قرؤوه عليه ، بعضها أملاه إملاء ، و إحصاء هذه الكتب عسير ، و قد فقد كثير منها ؛ فألف في الشام كتبا غزيرة إذ كان الغزالي من أكثر كتاب العالم أنتاجاً، وتنوعاً، لذلك وصفه أحدهم بأمير الكتاب فقال "محمد بن عبد الله أمير الأنبياء، ومحمد بن إدريس الشافعي أمير الإيمان، ومحمد بن حامد الغزالي أمير الكتاب". ويختلف الباحثون القدامى والجُدد في عدد الكتب التي وضعها الغزالي وأسمائها وصحة نسبتها إليه، وقد أوصل بعض المؤلفين كتب الغزالي إلى حوالي 300 كتاب ([1])

وإنما يدل هذا على ذكاء الغزالي و نبوغه وتطلعه إلى طلب العلم و وفرة و لعه بعلوم زمانه.

وهذا إيجاز للترتيب الزمني لمؤلفات الغزالي المقطوع بصحة نسبتها إليه، حسب تاريخ تأليفها وموضوعها: **المرحلة الأولى (465-478) هـ** : التعليقة في فروع المذهب في الفقه المنخول من تعليق الأصول، وهو أول كتاب ألفه في الأصول.

---

1 راجع :عبد الكريم العثمان :سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ، ص 3 ،دمشق.

المرحلة الثانية (478- 488) هـ :كانت هذه الفترة أكثر فترات حياة الغزالي إنتاجا فكتب في الفقه :البسيط في المذهب (مخطوط)، الوسيط في المذهب، الوجيز في الفقه، خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر(مخطوط)، فتوى لابن تاشفين، الفتوى اليزيدية (في حكم من كفر يزيد بن معاوية)، غاية الغور في دراية الدور أصول الفقه :المبادئ والغايات، شفاء الغليل في الشبه والمخيل ومسالك التعليل، مفصل الخلاف (مفقود).في المناظرة والخلاف :المنتحل في علم الجدل، مأخذ الخلاف، تحصين المأخذ في الفلسفة والمنطق :مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، معيار العلم، الاقتصاد في الاعتقاد، معيار العقول، محك ميزان العمل .الأديان والفرق :فضائح الباطنية، حجة الحق، الرسالة القدسية، المعارف العقلية والأسرار الإلهية، قواعد العقائد.

المرحلة الثالثة (488- 499) هـ وكتب هذه المرحلة كثيرة أهمها، إحياء علوم الدين.

المرحلة الرابعة (499 –503)هـ المنقذ من الضلال في الفلسفة، والمستصفى في علم الأصول.

المرحلة الأخيرة (503- 505) هـ منهاج العابدين في الزهد والأخلاق والعبادات، وإلجام العوام عن علم الكلام، وهو آخر كتبه التي ألفها 505 هـ .

وهناك كتب أخرى كثيرة للغزالي في مجالات مختلفة مثل:

1- في الأديان والفرق :القول الجميل في الرد على من غير الإنجيل، الرد الجميل على

إلهية عيسى بصريح الإنجيل، مفصل الخلاف (مفقود.)

2- في التصوف والأخلاق والتربية :بداية الهداية، ميزان العمل، معراج السالكين،أيها الولد، التبر المسبوك في نصيحة الملوك.

في التفسير : تفسير ياقوت، التأويل في تفسير التنزيل (مفقود).

في الفقه :غور الدور في المسألة السريجية، الفتاوى.

في أصول الفقه :تهذيب الأصول (مفقود)، أساس القياس، حقيقة القولين (مخطوط)، كتاب في مسألة تصويب المجتهدين (مفقود)، المكنون في علم الأصول (مفقود).

فقي علم الكلام والعقيدة : كيمياء السعادة، المقصد الأسني نفي شرح أسماء الله الحسنى، الأربعين في أصول الدين، معارج القدس في معرفة النفس، القسطاس المستقيم، جواهر القرآن، القانون الكلي في التأويل، الدرج المرقوم بالجداول (مفقود)، المنتحل في علم الجدل، الحكمة في مخلوقات الله [1] .

إذن يفهم من كل هذا أن الغزالي عموما هاجم بكتبه الفرق المخالفة مفندا أراءها حتى لا تتغلغل بين صفوف العامة.

بالاستناد على كل ما سلف يمكن القول :

---

1 راجع :عبد الرحمان بدوي :مؤلفات الغزالي : ص 10، ط 2 ، الكويت ، 1977.

01– رغم ما يعرفه الناس عن الغزالي من أنه حجة الإسلام ، و العالم الإمام ، إلا أنه بالإضافة إلى ذلك عالم متعدد المواهب ، له دراية بمختلف علوم عصره

02 – كما يمكن تسجيل عدم الاستقرار الذي عرف به الغزالي في حياته ، و هذا راجع إلى تلهفه الشديد لطرق مختلف أبواب المعرفة عند أصحابها ، و ارتشاف رحيقها على أيادي كبار العلماء .

03 – إن محنة الغزالي ، و اتهامه بالتحيز ، ترسم صورة العلاقة بين المثقف و بني جنسه .

04 – الرقي الحضاري الذي كان يزخر به عصر الغزالي هو ما ساعده على صقل مواهبه ، و تنمية قدراته الفكرية .

05 – طموح الغزالي الفائق ، و رغبته الملحة في الوصول إلى الغاية القصوى و التي هي معرفة الحقيقة مما يدل على أن الغزالي شخصية علمية ، و نموذج من نماذج الفكر الحي في التراث العربي الإسلامي.

المبحث الثاني: حقيقة المنهج النقدي عند الغزالي

إن النقطة المحورية في هذا البحث هي المنهج النقدي الذي أسسه الغزالي كلبنة من ذلك الصرح الكبير ؛ صرح التراث الإسلامي، و هذا ما يزيد في القيمة الفكرية لشخصية صاحبه العلمية ؛ على ما تحمله من مزايا .

وهنا تكمن قيمة دراسة المنهج ، بالإضافة إلى أنه قد يكون الوحيد الذي تميز به الغزالي في عصره ؛ إذ يكشف عن شخصيته الفكرية بكل تنوعها ، و ربما كان هذا التميز الفكري من أهم بصمات الغزالي و أقومهـا و أنفعها .

من هذا المنطلق كانت دراسة المنهج النقدي عند الغزالي .

01 – التعريف بالمنهج النقدي:

يجدر قبل الشروع في تفاصيل الموضوع تقديم تعريف كل من المنهج و النقد لغة و اصطلاحا :

أولاً : التعريف بالمنهج:

في اللغة :

فالمنهج مشتق من فعل نهج ، يقال نهجت الطريق : سلكته ، و نهج الأمر : وضح، وطريق نهج : بين واضح .و المنهاج كالمنهج .[1]

---

1 راجع : أبن منظور: لسان العرب ، تح ، أحمد فارس ، ج 2 ، ص 383 ، بيروت ،1990.

المنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح. جميع الكتب العربية التي سميت بهذا الاسم تشير إلى أن معنى المنهج أو المنهاج عند مؤلفيها هو الطريق الواضح ، والسلوك البين ، و السبيل المستقيم [1] .

إذن يمكن استنتاج خاصيتين أساسيتين للمنهج من هذا التعريف وهما: الطريق (الذي يتم إتباعه) والوضوح.

- **في الاصطلاح :**

حسب معجم لالاند الفلسفي: كان المنهج يعني عند أرسطو البحث فقط، ويرتكز المنهج على إرادة توجه عمل الإنسان من أجل بلوغ غاية محددة. ويجمع المنهج بين ما هو نظري وما هو عملي، بين الملاحظة والتجربة من جهة، وعملية التفسير من جهة أخرى . [2]

يستعمل أفلاطون المنهج بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة ، أما أرسطو فبمعنى بحث .[3]

---

1 أنظر : جميل صليبا :المعجم الفلسفي : ج 2 ، ص 435 ، بيروت ، 1982

2 أنظر : أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية ، تج / خليل أحمد خليل ، ج 2 ، ص 803 ، ط 2 بيروت– باريس . 2001.

3 راجع : عبد الرحمان بدوي : مناهج البحث العلمي ، ص 3 ، ط 3 ، الكويت ، 1977.

كما يمكن الاستنتاج من هذا التعريف الخصائص التالية للمنهج: قواعد ومبادئ، مراحل، تنظيم منطقي، وسيلة وغاية و هو طريقة قيادة الفكر والتعبير عنه انسجاما مع مبادئ المعرفة، و الأكيد أنه يمكن ملاحظة أنه لا يوجد تعريف شامل لهذا المنهج بصورة تامة.

ثانيا : التعريف بالنقد:

بعد الاستعراض العام للمنهج لغة و إصطلاحا نأتي الآن إلى تحديد مفهوم النقد .

في اللغة :

طبقا للتعريف الذي قدمه ابن منظور فإن النقد يتمثل في:

النقد مشتق من فعل (نقد) و يقال: نقدت الدراهم و انتقدتها : إذا أخرجت منها الزيف والنقد : تمييز الدراهم و الزيف منها ، و ناقدت فلانا إذا نقاشته في الأمر .و نقد الشيئ ينقده نقدا إذا نقره بأصبعه.[1]

إذن يتبين من المعنى اللغوي أن النقد عملية تمييز لما يقابل الناقد بين الصحيح و غيره ، و هو تحليل و مناقش للمعلومات التي تنقل إليه .

---

1 أنظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج 3 ، ص 425-426

في الاصطلاح :

والنقد بتعريفه الاصطلاحي هو تفحص الشيء والحكم عليه و تمييز الجيد من الرديء ويعرف بأنه التعبير المكتوب أو المنطوق من متخصص يسمى (الناقد) عن سلبيات وإيجابيات أفعال أو إبداعات أو قرارات يتخذها الإنسان أو مجموعة من البشر في مختلف المجالات من وجهة نظر الناقد .كما يذكر مكامن القوة ومكامن الضعف فيها، وقد يقترح أحيانا الحلول المناسبة لها

والنقد أيضا ،النظر في قيمة الشيء، والتقييم، فالنقد المعرفي مثلاً هو النظر في إمكانية وشروط المعرفة وحدودها، وهو عمومًا عدم قبول القول أو الرأي قبل التمحيص، وينقسم إلى نوعين: نقد خارجي وهو النظر في أصل الرأي، ونقد داخلي وهو النظر في الرأي ذاته من حيث التركيب والمحتوَى.[1]

ويتضح من ذلك أن المعنى الاصطلاحي يرتبط بالمعنى اللغوي ارتباطا وثيقا.

ثالثا : مفهوم المنهج النقدي:

إذا تصفحنا المعاجم والقواميس اللغوية للبحث عن مدلول المنهج النقدي فإننا نجد شبكة من الدلالات اللغوية التي تحيل على الخطة والطريقة والهدف والسير الواضح والصراط المستقيم؛ و هذا يدل على أنه عبارة عن خطة واضحة المدخلات والمخرجات،

---

1 راجع : أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية ، ، ص 803

وهو أيضا عبارة عن خطة واضحة الخطوات والمراقي تنطلق من البداية نحو النهاية. ويعني هذا أن المنهج النقدي ينطلق من مجموعة من الفرضيات والأهداف والغايات ويمر عبر سيرورة من الخطوات العملية والإجرائية قصد الوصول إلى نتائج ملموسة ومحددة بدقة مضبوطة، فهو إذن يلعب دورا مهما و إيجابيا في عملية التقييم: إذ أنه التقييم الموضوعي و المحايد للأفكـار و التصرفات.[1]

وعليه فإن المنهج النقدي يتثمل في خطة مرسومة دقيقة ، واضحة المعالم قصد تقييم قضايا فكرية؛ لتقويمها أو إبطالها.

1- مفهوم المنهج النقدي عند الغزالي

بعد تحديد مفهوم المنهج النقدي عموما نصل إلى موضوع بحثنا وهو ماهية المنهج النقدي عند الغزالي.

إن الحقائق المقررة أن الحياة العلمية و الفكرية عند العرب و المسلمين نشأت و تطورت متلاحمة مترابطة في "مناخ" عقلي عام حيث حدث تزاوج جنسي و تلاقح حضاري كانت له آثار على الأنماط الفكرية عموما و على الفلاسفة خصوصا ، و كان هذا في رأي البعض منهم إنحرافا خطيرا يهدد الأمة الإسلامية لأنه يصيب حياتهم [2] .

---

1 أنظر : هندري ويسينجر : قوة النقد البناء، تج : عبد الكريم عقيل ، ص 1 ، ط1، 2001 .

2 راجع : محمد عبد الواحد حجازي: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ص 224 ، ط 3 بيروت ، 1971

إذن فالأفكار الدخيلة على الأمة الإسلامية هي السبب المباشر لتقييم صحتها و التمعن في حقيقتها؛ لذا كان النقد المنهجي بمثابة ضابط و ممحص لما يدعيه البعض من أفكار ومعتقدات؛ من أجل هذا جعل الغزالي معولا للنظر في أفكار مخالفيه؛ إذ قال في أول كتابه (المنقذ من الضلال) : "إنحصرت أصناف الطالبين عندي في أربعة فرق:

1- المتكلمون : وهم يدعون أنهم أهل الرأي و النظر.

2- الباطنية : و هم يزعمون أنهم أصحاب التعليم و المخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

3- الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق و البرهان.

4- الصوفية : و هم يدعون أنهم خواص الحضرة و أهل المشاهدة و المكاشفة.

فقلت في نفسي : الحق لا يعدو عن هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق ، فان شذ الحق عنهم ، فلا يبقى في درك الحق مطمع ...."[1]

إن هذا النص يدل على أن الغزالي انتقد مختلف جوانب الفكر الإسلامي، فنقد الباطنية وهم الشيعة الإسماعيلية، كما انتقد غلاة الصوفية و خاصة القائلين بالحلول والاتحاد، و نقد المتكلمين وخاصة المعتزلة، إذ نادى بإلجام العوام عن علم الكلام عندما تبنى المذهب الأشعري.

---

1 مجموعة رسائل للإمام الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص 540 .

كل هذا يشهد على جرأة الغزالي التي ما شهد تاريخ الفلسفة نظيرا لها فنقده للفلاسفة المشائية من الأهمية بمكان ؛ و ذلك لعظيم وقعها مما دفع البعض إلى الإدعاء أن الفلسفة قد ماتت و ضاعت نتيجة لنقد الغزالي لها .

إن الذي يعنينا بيانه هو الإشارة إلى نقد الغزالي للفلسفة المشائية الإسلامية و خاصة لدى الفارابي و ابن سينا .

مما يذكر أن انتقاداته للفلسفة أكثر عمقا و تفصيلا و قوة حتى أنه قيل قضى على الفلسفة في الشرق الإسلامي .

وإذا كانت دراسة موقف الغزالي من الفلسفة المشائية الإسلامية تحتاج إلى دراسة مفصلة متأنية ، بيد أنه سيتم التركيز على المسائل الرئيسية التي كانت تشكل جوهر ذلك– المنهج النقدي للمشائية – خاصة المباحث الإلهية .

قال الغزالي :" ثم رد أرسطو طاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلهيين ردا لم يقصر فيه حتى تبرأ من جميعهم ؛ إلا أنه استبقى أيضا من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزع منها؛ فوجب تكفيرهم ، وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين ، كابن سينا والفارابي وغيرهما".[1]

1 مجموعة رسائل للإمام الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص 543 .

مما يدل على أن الغزالي هاجم الفلسفة وتناولها بالفحص و النقد و هجم عليها هجوا عنيفا مبنيا على الاتهام بالكفر ،إذ ألجأ الفلسفة إلى أن تقف موقف المتهم و ألجأ ممثليها إلى أن يقفوا موقف المدافعين .

والجدير بالذكر أن الغزالي انتقد الفلسفة في إطار خطة رسمها لنفسه فلم يتهور في الهجوم عليها ، فلم يكن مقلدا لغيره و لا ضيق التفكير ، إنه درس الفلسفة أولا كما حكى عن نفسه بقوله: "ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة ، وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم، ثم يزيد عليـــه و يجاوز درجته."[1]

يفهم من ذلك أن جهد الغزالي انصب على كشف مدعيات الفلاسفة و فق تصوير عقلي و أسلوب تحليلي قصد إثبات تباياناتها.

إذن لقد جد الغزالي في دراسة الفلسفة ومعرفة حقيقتها و سبر أغوارها حتى اطلع على منتهى علوم الفلاسفة؛ فراح يؤلف فيها كتبا مثل (مقاصد الفلاسفة) فعرض فيه الفلسفة كأحسن ما يعرضها رجال الفلسفة و بعد الانتهاء منه شرع في نقد الفلسفة و الهجوم عليها [2].

---

1 المصدر نفسه ص 541.

2 راجع : إبراهيم محمد تركي : علم الكلام بين الدين و الفلسفة ، ص 259 ، ط 1 : الاسكندرية / 2008 .

إذ ذكر الغزالي في كتابه (مقاصد الفلاسفة):" أعرفك أولا أن علومهم أربعة أقسام الرياضيات و المنطقيات و الطبيعيات و الإلهيات "([1])

وهو بهذا ينتقد الفلاسفة نصرا لأولئك الذين يرون أن إنكار هذه العلوم الحقائق العلمية خدمة دينية و نصرة للإسلام و محاربة للكفر و الضلال .

وفي الرد على الفلسفة الإلهية ألف الغزالي كتابه (تهافت الفلاسفة) قائلا: " فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضا على هؤلاء الأغبياء، انتدبت لتحرير هذا الكتاب، ردا على الفلاسفة القدماء مبينا تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم ، فيما يتعلق بإلهيات" [(2)] .

وهذا يعني توقد روحه و نبوغه العقلي و رسوخه العلمي لإبطال الحجة بالحجة وإثبات الدليل بالدليل .

2 – مصادر المنهج النقدي عند الغزالي

من الممكن القول بأن الغزالي لم يصدر اتجاهه أو فكره النقدي عن فراغ،وإنما كان بين يديه تراث إسلامي خصب، ومثله أجنبي أيضاً. فقد ازدهرت الحياة الفكرية الأدبية والفلسفية ابتداء من العصر العباسي بصفة خاصة – تم ذكر هذا سابقا– بأن هذا التراث

1 أنظر : أبو حامد الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، تح محمود بيجو ، ص1 ، ط 1 ، ديمشق ، 2000.

2 أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة تح سليمان دنيا ، ص75 ، ط 4 ، القاهرة ،1966

ومضمونه الإيجابي كان معيناً لا ينضب لكل من شاء أن يغترف منه، تأصيلاً لمذهبه وإثراء لفكره([1]). ولقد تمثل الغزالي هذا التراث بوعي تام، فكانت لديه مصادر عديدة للفكر النقدي، يمكن إيجازها في أربعة مصادر رئيسية هي: المصدر الديني، والمصدر الكلامي، المصدر الفلسفي و المصدر الصوفي .

1 – المصدر الديني:

استفاد الغزالي في نقده لآراء الفلاسفة والمتكلمين ممن يخالفون مذهبه، من القرآن في بعض حججه وأدلته التي ساقها ليبطل بها مذاهبهم ويكشف عما بها من خلل وتهافت، سواء فيما يتصل بالتوحيد أو الصفات أو البعث أو النبوات، ولم يعوزه أن يجد في القرآن أصول أدلة تثبت أصول الدين وعقائده الأساسية. فلقد أشار القرآن رداً على الثنوية والقائلين بتعدد الآلهة ودحضاً لمذهبهم، وتثبيتاً لعقيدة التوحيد. وكذا أشار إلى عدة أنواع من القياس وهو بصدد الرد على منكري البعث واليوم الآخر، وفي الرد على منكري العلم الإلهي وعلى دعاوى منكري النبوة والرسالة، وكذلك ما احتواه من دلائل على العناية الإلهية والجزاء الأخروي ثواباً وعقاباً مما لا يمارى فيه.

كما أن دعوة القرآن إلى النظر العقلي والتأمل في الكون و موجوداته صعوداً منها إلى معرفة الخالق، أمر لا شك فيه، وكثير من الآيات تمثل هذه الدعوة وإذا كان القرآن

---

1 راجع :عاطف العراقي الفلسفة العربيَة والطريق إلى المستقبل،ط 6، ص 14 ، مصر ، 2009.

قد حث العقول على تدبر ما في الكون من آيات، ودعا إلى استخدام العقل صراحة من أجل الوصول إلى الإيمان، وهو ما اضطلع به الغزالي وما شهد به له ابن خلدون بقوله :"و من أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائده ؛ فعليه بكتب الغزالي." [1]

إذن تجربة الغزالي في صقل الفكر وتمحيص التراث خولت لاحقيه و معاصريه بالشهادة له.

فإنه في الوقت نفسه لم يحرم الحوار والمناظرة مع المخالفين له، بل دعا المسلمين إلى مثل هذا الحوار وشجـع عليه ووضـع له أصولاً ومبادئ تتبدى لنا في آيات كثيرة.

إذ وجد الغزالي في القرآن ما يحفزه إلى سلوك سبيل الحوار والمناظرة والنقد، في مواجهة خصوم الإسلام وأعدائه. وقد كان هذا التراث الديني بين يدي الغزالي، وقد تمثله بوعي مكنه على أن يحاور ويناظر.

كما أن النقد يأخذ مشروعيته من أنه لا يخلو أن يكون نصيحة أو يكون داخلاً في محاسبة النفس: وهذا نوع من أنواع النقد وهو ما يسمى بالنقد ذاتي حث عليه الدين .

يستشف من هذا أن الغزالي صاحب رسالة عقائدية ، رائدا للواء النقد امتثالا للتعاليم الدينية .

---

1 ابن خلدون المقدمة ، ص 448.

2 – المصدر الكلامي:

وجد الغزالي في تراث المتكلمين على اختلاف مذاهبهم، ما هو أكثر غنى وثراء فيما يتصل بالفكر النقدي بوجه خاص. ذلك أن المتكلمين قد وقفوا أكثر ما وقفوا للدفاع عن عقيدتهم ودحض حجج خصومهم، ومن ثم فوظيفتهم لم تكن لتتحقق إلا بالرد على خصوم الإسلام وأعدائه، والحجاج عن العقائد ودعمها بالأدلة العقلية؛ إذ قال الغزالي: " فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين ، و حرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله."[1]

هذا النص يعني أن علم الكلام في حقيقته إنما هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية.

فكان كثير من الأشاعرة فيما قبل عصر الغزالي ذوي نزعات نقدية واضحة أغترف منهم الغزالي تراثاً نقدياً ، فالغزالي الذي يعد أشعري الاتجاه[2]، قد ذهب إلى القول بأن من لم يشك لم ينظر، كما تأثر الغزالي بالترعة العقلية للمعتزلة بوجه عام رغم ما بين مذهبيهما من فوارق. وكأنه لم يجد غضاضة في أن يستعين ببعض آرائهم واستدلالاتهم

1 الغزالي : مجموعة الرسائل : المنقذ من الضلال ، ص541.

2 راجع إبراهيم محمد تركي : علم الكلام بين الدين و الفلسفة : ص 255

العقلية عندما يواجه خصماً مشتركاً. كما أفاد الغزالي كثيراً مما كان بين خصومه، من مناظرات وانتقادات متبادلة.[1]

إذن أدرك الغزالي مدى نصاعة النزعة النقدية عند المتكلمين فنهل منها و ارتوى بها .

3 – المصدر الفلسفي:

لم يكن الغزالي في فكره النقدي بمنأى عن تأثير التراث الفلسفي، فعقليته وثقافته الفلسفية، جعلته يلم إلماماً دقيقاً واعياً بكثير من آراء الفلاسفة، عرضها في المقاصد أفضل عرض لينقذها في التهافت. فالغزالي رغم معارضته لمذهب ابن سينا بوجه عام ولكثير من آرائه في الإلهيات، فإنه تأثر ببعض آرائه الإيجابية والنقدية أيضاً. بيد أن هذا، لم يمنع الغزالي من أن يخالف ابن سينا في مسائل كثيرة. يضـــاف إلى ذلك أن الغزالي قد استقى بعض آرائه وردوده على الفلاسفة في " تهافت الفلاسفة" مما يعد تقريراً لهم ، وهناك كثير من البراهين والأقيسة والاستدلالات المنطقية استعملها لتقرير مذهبه و نقد مذاهب المخالفين له ؛ مثال ذلك : حكم السارق ، والنباش الذي يأخذ أكفان الموتى خفية وهم في قبورهم (لاشتراكهما في العلة) ، و هذا هو تبرير البحث في القياس [2] إذ يعتبر

---

1 انظر : الغزالي : المستصفى في علوم الأصول ، ص 23.

2 راجع الغزالي : معيار العلم في فن المنطق ، تح : حسين شرارة ، ص 90 ، بيروت ، 1964.

أول من أدخل المنطق اليوناني إلى الأصول الإسلامية بشكل عريض و واضح و قد هاجمه نتيجة لهذا التوجيه منتقدون كثير [1].

إذن فقد وجد الغزالي في التراث الفلسفي ما يدعم اتجاهه النقدي ويثريه.

04- المصدر الصوفي:

من الطريف اعتبار الغزالي ذا نزعة فلسفية لتأثره بالمناخ الفكري الفلسفي و في ذات الوقت بالتراث الصوفي بجانبيه الإيجابي والنقدي و هو أحد روافد المصدر الديني الذي استقى منه الغزالي بعضاً من فكره النقدي في أرقى وأصفى مراتبه، وكان الربط بين التصوف وبين الكتاب والسنة بصورة واضحة، أحد اتجاهين واضحين للتصوف السني وفق عقيدة أهل السنة إذ قال " الصوفية أوفر الناس حظا في الإقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم– و أحقهم بإحياء سنته و التخلق بأخلاق رسـول الله – الله صلى الله عليه و سلم– من حسن و إحياء سنته"[2] حتى إذا جاء الغزالي وجدناه يصوب انتقاداته إلى معظم فرق المتكلمين والفلاسفة انتصاراً للتصوف السني الذي سكنت نفسه إليه فارتمى بكليته في أحضانه حتى أودع مثواه الأخير.

---

1 أنظر : الغزالي : القسطاس المستقيم : تع : محمد بيجو ، ص8 ، دمشق ، 1993.

2 الغزالي : إحياء علوم الدين ، ص 123 .

إذن شخصية الغزالي ؛ شخصية العالم الباحث عن اليقين الناقد المتبصر تلوح من طيات معتنقاته في محاولاته الجريئة و تجاربه المتنوعة و المتراوحة بين تفلسف و تصوف دفاعا عن أصول الحق .

3- دوافع المنهج النقدي عند الغزالي

تلاقي الإسلام و الفلسفة اليونانية في عقل الفيلسوف العربي كان تأثيرا و نفعا متبادلين ، و كان صراعا و كرا و فرا عنيفا و إن يطغ في النهاية الخصام على الوئام ، وإن تتحدر الفلسفة أمام حملات الغزالي و أمثاله([1])؛ و هو ما يدعو إلى كشف دوافع النقد و بيان حقيقتها عند الغزالي و أنواعها وهي:

1 - الدافع الذاتي:

يتبدى الدافع الذاتي في عقلية الغزالي من حيث طبيعة تكوينها وما توفرت عليه من قدرات خاصة من ذكاء، وحدة ذهن وقوة حدس، وسرعة فهم، ومن حيث العوامل والظروف التي كان لها أثرها البالغ في تشكيل هذه العقلية على صورة تسمح لها بأن تتجاوز حد استيعاب ما يعرض لها وما تسعى هي إليه من علوم ومعارف مختلفة حيث تحلل وتقارن فتقبل وترفض، وتفند وتنقد. إذ بز الأقران و حمل القرآن، و صار أنضر

---

1 راجع : يوحنا قمير : أصول الفلسفة العربية ، ص 143 ، ط6 ، بيروت ، 1991.

أهل زمانه و أوحد أقرانه([1]). ولقد تكاملت هذه العوامل وتلك القدرات الخاصة وتفاعلت في شخصية الغزالي بحيث صارت فيما بعد شخصية علمية فذّة، ترى أن المفكر الحق هو ذلك الذي لا يسلم تسليماً أعمى بما توصل إليه السابقون عليه من آراء وأفكار في المسائل التي يتناولها بالبحث والدراسة، وإنما يستشعر من ذاته أنه ينبغي أن يضرب صفحاً عن مثل هذا التسليم، ويتخطاه إلى حيث يحلل هذه الأفكار و هذا يمثل عاملاً فارقاً بين المفكر الحق، ذي الفكر الرأسي الذي يسهم في تطور الفكر وتجديده، وبين المفكر التابع ذي الفكر الأفقي الذي يقتصر على رواية المقالات والمذاهب وترديده .قال الغزالي : " فشمرت على ساق الجد في تحصيل ذلك العلم الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ .....حتى اطلعت على ما فيه من خداع و تلبيس"[(2)].

هذا يعني أن شخصية علمية كشخصية الغزالي، تتسم بالحس النقدي والموضوعية ونبذ التقليد، ما كان لها أن تخالف ما هو أشبه بأن يكون طبيعتها الذاتية في البحث عن الحقيقة .

إذ كان الغزالي يبحث عن طمأنينة النفس و ثبات القلب،مما دفعه إلى خلوة تأمل وفترة من القلق النفسي [(3)].

---

1 أنظر : عبد الحليم محمود : قضية التصوف المنقذ من الضلال ن ص 278 ط 5 ، القاهرة ، 2003.

2 الغزالي : المنقذ الضلال : ص 542.

3 راجع : عبد الكريم عثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين : ص 11 .

ويفهم من كل هذا رجاء الغزالي الوصول إلى الحق الذي أفنى حياته في طلبه ، فطبيعة الغزالي الفطرية ، كانت طبيعة نفسية قوية دفعته إلى الرغبة في البحث وحب الاطلاع بعيدا عن السذاجة و التصديق المتسرع.

2- الدافع المنهجي:

لم يكن هم الغزالي الشهرة وبعد الصيت، بل كان الوصول إلى العلم الحق اليقيني، الذي لا يلابسه ريب وقد جعلته منطلقاً ونشيطاً، يرفض التقليد والتقيد بتيارات المذاهب الفكرية في عصره واختار البحث الحر لنفسه،إذ قال:" ظنا بأن إظهار التكايس في النزوع عن تقليد الحق ، بالشروع في تقليد الباطل ، جمال و غفلة منهم عن أن الإنتقال إلى تقليد عن تقليد خرقا و خبال"[1]

هذا النص يدل على أن الغزالي حث غيره من الباحثين للسير معه بمنهجه وطلب منهم عدم الالتفات إلى المذاهب وأن يكون طلب الحقيقة بطريق النظر.

لم يرض الغزالي لنفسه أن يكون مجرد مؤرخ للفرق والمذاهب، ولا أن يكون مجرد تابع في فكره ومذهبه لمن سبقوه أو عاصروه، وإنما سلك منهج الشك وهو منهج في

---

1 الغزالي : تهافت الفلاسفة ، ص 74.

التفكير النقدي يهدف الوصول إلى حقيقة الأشياء ، وليس مجرد أزمة عابرة عصفت به في فترة محددة. فقد حاول الغزالي إعادة التفكير بالموروث المعرفي والعلوم المكتسبة بواسطة التقليد والحس والعقل. فهو يقوم بعملية مراجعة نقدية من شأنها أن تكشف الأخطاء في هذه العلوم وتأسيسها على علم يقيني، وهي عملية حفر في طبقات المعرفة المتراكمة، كي يصل إلى حقيقة الفطرة الأصلية وهي البداية اليقينية التي يؤسس عليها علومه ومعارفه. قال الغزالي" قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات".[1]

وهو يعني بذلك ضرورة عدم الثقة فيما هو حسي لارتيابه و ثقة التامة في ما هو عقلي لبديهيته .

ويمكن القول بأن مشكلة المنهج عند الغزالي من أهم القضايا التي أفضت بالغزالي إلى الشك لعدم توفر معيار اليقين في مصادر المعرفة التقليدية؛ ولهذا اتخذ الشك منهجاً وطريقاً لبلوغ اليقين . إذ قال الغزالي:" الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال"[2]

---

1 الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص 539.

2 الغزالي : ميزان العمل: ص 126 ، القاهرة ، 1963

إن هذا النص يدل على أن منهج الغزالي يستند إلى الشك العلمي، فيبدأ في دراسته لأي علم بعدة تساؤلات، ثم يدخل في غمار هذا العلم ويتعمق فيه تعمق الخبير المتبصر ،ويخرج بنظرة مستقلة عن هذا العلم وتشير رحلته بين الشك واليقين إلى أهمية السؤال الناضج والمُعبر عن فكرٍ يجادل الأشياء من حوله.

3 –الدافع الديني:

إذا كان العلم اليقيني الذي يبحث عنه الغزالي هو بمستوى المطلق الذي لا يمكن الشك فيه حتى بوجه الافتراض الميتافيزيقي ما وراء الطبيعة؛ فإن الدافع الديني يعد أظهر الدوافع جميعاً وإن لم يكن أولها، فقد كان الغزالي في حياته كلها معتداً بدينه، يعرف لنفسه مكانتها حيث قال: "و أعلم أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم و بالموعظة قوم و بالمجادلة قوم ...." [1]

إن هذا النص يدل على أن الغزالي يقر بالحكمة و الموعظة و المجادلة و هو ما دعا إليه القرآن الكريم لقوله تعالى: **(وادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)**[2]

1 الغزالي مجموع رسائل الإمام الغزالي : القسطاس المستقيم ص171.

2 سورة النحل : أية 125

يستفاد من هذا أن الآية دعوة صريحة لذوي العقول بالاحتكام إلى لغة الحوار الهادئة وهو عنوان فضل الغزالي في فلسفته النقدية ، بمعناها لا بمبناها و التي ذهبت عنده مثلا على تفضيل الحق.

وهذا ما جعل كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي ذا لغة علمية تعليمية دعوية نموذجية يستشعر صاحبها هدفا أسمى ودوراً أعظم، ويضع نصب عينيه غاية أبعد بأنه مجدد الدين في القرن الخامس الهجري([1])، ويتجلى ذلك بوضوح في العنوان الذي اختاره "الإحياء"، لأنه كان معنياً بأمر الدين، مهتماً بالذب عن العقيدة الخالصة والإسلام الصحيح، وقد تجلى ذلك في العديد من مؤلفاته مثل:(المنقذ من الضلال)(وفضائح الباطنية)(وتهافت الفلاسفة.) فقد تعامل الغزالي مع معضلات أمته بقدر عال من المسؤولية والاندماج الوجداني، فهو يتحسس كوامنها ليبتكر منهجا فكريا فريدا من نوعه.

إذن يسجل للغزالي تلك القفزة العلمية التي أحرزها حيث انتقل عن طريقها من مستوى المواضعة الفكرية الجارية إلى مستوى النقد المنهجي الفكري.

---

1 راجع : صالح أحمد شامي : الإمام الغزالي مجدد المئة الخامسة ، ص7.

تقييم :

إن أهم ما يمكن أن نصل إليه هو :

يعتبر المنهج النقدي للغزالي فكر ذو علامة بارزة على طريق تطور العقل الغربي الإسلامي؛ ذلك أنه إنجاز رفيع المستوى بمثابة أول إلتفاتة إلى فلسفـــــة الفكر الإسلامي لما يحمله من نظر فلسفي و معايير منطقيـــــة ؛ و بهذه القفزة العلمية التي حققها الغزالي في تجديده للفكر الفلسفي الإسلامي بوضعه نظاما شاملا وأسسا ثابتة ، هذا فضلا على أن الغزالي عالما متعدد المواهب ، له دراية وافية بمختلف العلوم الشرعية منها و غير الشرعية ، ذلك أن كل فضل لعلومه ، إنعكاس لفضل الغزالي ، ومكانته بين العلماء.

الفصل الثالث :

نقد الغزالي للفلسفة المشائية الإسلامية

المبحث الأول: موقف الغزالي النقدي من القضايا المشائية الفلسفية

المبحث الثاني: أثر فلسفة الغزالي النقدية على الفكر الإسلامي

الفصل الثالث: نقد الغزالي للفلسفة المشائية

إن الحقائق المقررة أن الحياة العلمية العربية و أنماط التفكير الفلسفية عند المسلمين إنما نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم ؛ باعتباره كتابا ينظم الحياة كلها بحيث ينبغي أن تتسق مع مضامينه .

وهذه الحقيقة تبرز التطور الفلسفة الإسلامية ؛ لاستنادها إلى منهج علمي وفق دراسات نظرية لضبط أفكار متلاحمة تطبق مع"المناخ" العقلي العام .....

وما يجدر التركيز عنه الآن هو ما شمله نقد الغزالي لجميع المذاهب والفرق ، والتي حددها بأصناف الطالبين ، كذلك توجهه بالنقد إلى كل المتكلمين والفلاسفة والباطنية والصوفية ؛ ولأهمية هذا النقد في تاريخ الفلسفة ، سيقتصر هذا الفصل على بيان نقد الغزالي للفلسفة لأنه الأقرب إلى الدراسة؛ فما أوجه نقد الغزالي للفلاسفة المشائيين بناء على ضوء ماهية نزعته النقدية ؟

المبحث الأول: موقف الغزالي النقدي من القضايا الفلسفية المشائية:

أجمعت الروايات التاريخية على أن التزاوج الجنسي و التلاقح الحضاري الذي حدث في عصر الغزالي بين مختلف العقليات ذات الأجناس المتفاوتة كان له آثاره على الأنماط الفكرية في الأوساط الإسلامية ؛ مما دعا البعض إلى استشعار خطر شيوع الأفكار الدخيلة ، وهو ما أحدث نزوع إلى الارتماء في أحضان الثقافات الدخيلة لحماية الأمة الإسلامية من خطر الانحراف الذي يهدد مصيرها و يصيب حياتها.[1]

وهذا يعني أن السبب المباشر لاقتحام مفكري الإسلام نظريات الفلاسفة و أبحاثهم هو ضرورة الدفاع عن العقيدة و الذب عن الدين و على رأسهم الغزالي الذي استلهم أنوار مدركاته لإدراك الحقيقة بالإيمان.

إذن بعد أن آمن الغزالي بأن الحق الذي ينشده ، و اليقين الذي يرتجيه لا يوجد بين أحضان علم الكلام ؛ انساب بين هضاب الفلسفة و معا رجها الوعرة و راح يطرق أبواب دروبها الصعبة للتبحر في أعماقها والنهل من رحيقها و هذا ما دفعه إلى خوض غمار الالاهيات للفصل في أمرها إذ كان من أبرزها

فقد كرس الغزالي قدراته للخوض في المسائل التي تصادم الشريعة بمناقشتها وفي مقدمتها البحوث الإلهية ، إذ شرع الغزالي في بيان هذه المسائل و مناقشتها في

---

1 راجع : محمد عبد الواحد حجازي : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، ص 224 ط 3 ، بيروت ، 1971.

ضوء البحث الموضوعـــي و المنهج العقلي،إذ ركز في ذلك على فلسفتي (الفارابي وابن سينا) اللذين قد عاب عليهم استحقارهم لشعائر الدين و التسارع إلى قبول الباطل بتحريف و تبديل.[1]

يقصد من هذا أن الغزالي توجه بالنقد للفلسفة بثقة و إيمان و عقل حر و شجاعة علمية .

خالف الغزالي الفلاسفة في عشرين مسألة تدور ستة عشر منها حول الإلهيات التي تبحث في الغيبيات مثل قدم العالم وحدوثه- مسألة الخلود- ذات الله وصفاته ونفي الشريك عنه – الصانع أم الدهر- العلم بالجزئيات والكليات والأربع مسائل الأخرى تدور حول الطبيعيات مثل جوهرية النفس واستقلالها عن البدن ومسألة خلودها -حشر الأجساد.

المسألة الأولى: إبطال مذهبهم في أزلية العالم.

المسألة الثانية: إبطال مذهبهم في أبدية العالم.

المسألة الثالثة: بيان تلبسهم في قولهم: أن الله صانع العالم، وأن العالم صنعه.

المسألة الرابعة: في تعجيزهم عن إثبات الصانع.

المسألة الخامسة: في تعجيزهم عن إقامة الدليل على استحالة الهين.

---

1 أنظر : الغزالي : تهافت الفلاسفة ، ص 77

المسألة السادسة: في نفي الصفات.

المسألة السابعة: في قولهم: إن ذات الأول لا ينقسم بالجنس والفصل.

المسألة الثامنة: في قولهم: إن الأول موجود بسيط بلا ماهية.

المسألة التاسعة: في تعجيزهم، عن بيان إثبات أن الأول ليس بجسم.

المسألة العاشرة: في تعجيزهم، عن إقامة الدليل على أن للعالم صانعاً، وعلة.

المسألة الحادية عشرة: في تعجيزهم عن القول: بأن الأول يعلم غيره.

المسألة الثانية عشرة: في تعجيزهم عن القول: بأن الأول يعلم ذاته.

المسألة الثالثة عشرة: في إبطال قولهم: أن الأول لا يعلم الجزئيات.

المسألة الرابعة عشرة: في إبطال قولهم: أن السماء حيوان متحرك بالإرادة.

المسألة الخامسة عشرة: فيما ذكروه من العرض المحرك للسماء.

المسألة السادسة عشرة: في قولهم: أن نفوس السماوات، تعلم جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم.

المسألة السابعة عشرة: في قولهم: باستحالة خرق العادات.

المسألة الثامنة عشرة: في تعجيزهم عن إقامة البرهان العقلي، على أن النفس الإنساني جوهر روحاني.

المسألة التاسعة عشرة: في قولهم: باستحالة الفناء على النفوس البشرية.

المسألة العشرون: في إبطال إنكارهم البعث، وحشر الأجساد، مع التلذذ والتألم بالجنة والنار، بالآلام واللذات الجسمانية.

حكم الغزالي على الفلاسفة بالكفر في ثلاثة مسائل وهى قولهم :

1) بقدم العالم" قضيه القدم والحدوث".

2) أن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات.

3) بإنكار حشر الأجساد في الآخرة اكتفاء ببعث الأرواح فقط.

فبالنظر في جميع فروع الفلسفة و الاعتراف بصحة بعضها و إفادتها، إنتهى الغزالي إلى أن الإلهيات فيها أغاليط الفلاسفة و قد علل الغزالي ذلك بأنهم ما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ، و لذلك كثر الاختلاف بينهم فيها.[1]

وهذا يعني أن الغزالي بعد أن شرح حال الفلاسفة و بين علومهم التي تصادم الشريعة شرع في بيان مسائلهم و مناقشتهم ببضاعتهم التي إعتبرها مسوغا لتكفيرهم و خرجهم من الملة .

أما بالنسبة للمسائل التي أوردها الغزالي في ذلك منها :

---

1 أنظر :الغزالي : تهافت الفلاسفة ، ص 86-87

01 مسألة : قدم العالم (القدم والحدوث أم الواجب والممكن):

- وفكرة الأشاعرة (أصحاب الكلام) الذين يعتنق الغزالي مذهبهم : أن الله كان منذ الأزل وحده ولا شيء معه ثم شاءت إرادته إلى أن يخلق العالم فخلقه.
- إبن سينا: يقول أن الحدوث بالمعنى الذي يفهمه الأشاعرة لا يمكن البرهان عليه لأنه منطق علم الكلام وليس علم الفلسفة وللخروج من الإشكالات المنطقية التي تلازم العقول بحدوث العالم وترجيح عمليه الخلق في وقت دون الآخر فبدل ابن سينا كلمتي القدم والحدوث بالواجب والممكن (الممكن هو ما يمكن أو ما يجوز أن يوجد أو لا يوجد) أما الواجب(فهو يوجد بالضرورة) وبما أن العالم موجود ونعيش فيه فهو عبارة عن سلسله من الظواهر المتغيرة والتي بعضها سبب للبعض الآخر وذلك بوصفه ممكن فلابد له من فاعل من خارجه ويكون الفاعل المقابل المنطقي لممكن الوجود وهو واجب الوجود والذي وجوده في ذاته وإذا فرض عدم وجود الواجب إذن محال وجود الممكن، ثم أدخل ابن سينا مقولة ثالثة بين الممكن والواجب وهى الممكن بذاته الواجب بغيره أي أن العالم واجب الوجود لا بنفسه بل بغيره أي أن العالم لم يزل موجود مع الله تعالى معلولا له ومسوقا له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس وأن تقدم الله تعالى هو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان.

❖ الغزالي: قال أن التخريج الذي قال به ابن سينا لا يثبت حدوث العالم(الخلق من عدم) بل تخريج يكرس القول بأزليته وقدمه ذلك أن وصف العالم بوجوب الوجود ولو بغيره يعنى أنه منذ أن كان هذا الغير أي الله والعالم موجود كما قال أيضا بفكرة الأشاعرة في مسألة تراخى الإرادة بمعنى أن الله أراد منذ الأزل خلق العالم أي خلقه بإرادة قديمة وأراد منذ الأزل.[1]

02 مسألة :أن الله لا يعلم الأشياء الجزئية:

❖ **الفلاسفة:**

منهم من ذهب إلى :

- أن الله لا يعلم إلا نفسه
- أن الله لا يعلم الجزئيات فهو يعلم الأشياء علما كليا لا يدخل تحت الزمان ولا يختلف بالماضي والمستقبل والآن .

❖ **إبن سينا:**

الله يعلم الأشياء علما كليا لا يدخل تحت الزمان ولا يختلف بالماضي والمستقبل والآن وأن الله لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض إلا أنه يعلم الجزئيات بنوع كلي

1 أنظر : الغزالي : تهافت الفلاسفة ، ص 110

❖ **الغزالي:**

قال : لابد أولا من فهم مذهبهم ثم الاشتغال بالاعتراض وحتى نفهم هذا المذهب سنبين هذا المثال فمثلا الشمس تنكسف بعد أن لم تكن منكسفة ثم تتجلى فيحصل لها ثلاث أحوال حال أن الكسوف معدوم ولكنه منتظر الوجود أي سيكون وحال كائن وحال ثالثُ هو فيها معدوم ولكنه كان من قبل وهذه الأحوال الثلاث توجب على من يعلمها التغير فهو كان جاهلا بها ثم علم بها ولو علم عند وجوده أنه معلوم كان جهلا وزعموا أن الله تعالى لا يختلف حاله في هذه الأحوال الثلاثة حيث أنه لا يتغير وما لم تختلف حاله لم يتصور أن يعلم هذه الأمور الثلاثة وإذا كان يعلم هذه الأمور بعلم يتصف به في الأزل فلا يعزب عن علمه شيء وأن العلم بوقت الكسوف هو إضافة إلى الزمان فلا يتصور أن يعلم هذا الزمان لأنه يوجب التغير وإما فيما ينقسم في المادة والمكان أعطى الغزالي مثلا كأشخاص الناس والحيوانات فإنهم يقولون لا يعلم عوارض زيد وعمرو وإنما يعلم الإنسان المطلق بعلم كلي فالله لا يعرف أفعال شخص بعينها لأن أفعاله حادثه بعد أن لم تكن لأنها أحوال تنقسم بانقسام الزمان وهذه الأمثلة توضح خبل الفلاسفة حيث أن هذه الأحوال إذا تعاقبت على محل واحد أوجبت فيه تغيرا لا محالة فباختلاف العلم اختلف العالم فإن لم يعلم شيئا ثم علمه فقد تغير.[1]

1 أنظر : الغزالي : تهافت الفلاسفة ، ص 176-177.

المبحث الثاني : أثر فلسفة الغزالي النقدية على الفكر الإسلامي

إن دور النقد الفلسفي للغزالي في الفكر الإسلامي واضح المعالم عظيم الأثر إذ حظي بمرتبة مرموقة، وتأثير مستمر إلى اليوم ؛ إذ كان حظه من دراسات المستشرقين كبيراً: شرحاً وتحليلاً وترجمةً. ويعتقَد أنه ممن أسهموا في فتح الآفاق الرحبة للتفكير الحديث، وشق الطريق أمام وضع قواعد البحث العلمي من الفقه حتى الكلام إلى الفلسفة والتصوف، وطبيعياً ألاَ يكون هذا التأثير موحداً ومتشابها، أي أنه كان في الإطار العام متناقضاً، ما بين التأييد والنقض، إلا أن الحصيلة العامة كانت تسير في اتجاه تعميق الفكر، إذ أننا لا نعثر في الواقع على أي من ممثلي الفكر الكبار اللاحقين في الميادين الآنفة الذكر، ممن لم يتأثر بهذا القدر أو ذاك بالغزالي، أو ممن لم يتناوله بالشرح أو الاختصار والرد... إلخ) لقد كان الغزالي في تراثنا الفكري شجرة مباركة شمخت بفروعها ورؤوسها وامتدت على مر العصور بظلالها لأنها قدمت للناس نموذجا حيا للدراسات الفقهية والكلامية والفلسفية والصوفية ، وهذا ما يمكن العثور عليه في الفلسفة عند كل من ابن طفيل وابن رشد، الصوفية وغيرهم.

أما بالنسبة لكتابه النقدي تهافت الفلاسفة، فإن أثره، في الفكر الإسلامي واضح، سواء دوره في تدعيم التيار الأشعري الذي قد غذى كتابات و حجج لاحقيه نظراً لتأثيره لقوي في نفوسهم وعقولهم وفكرهم . كما أن أثر الإمام الغزالي في العالم الإسلامي، جاء

من خلال مدرسته الكبرى التي ضمت بين جنابتها عشرات التلاميذ النجباء، أسماؤهم المضيئة أشرقت في كتب الطبقات و الأعلام وكتب التاريخ وغيرها من المؤلفات التي تحدثت عن حجة الإسلام الإمام الغزالي و التي ذكر منها في ثنايا هذا البحث .

خاتمـــة

خاتمـــة:

من خلال دراسة موضوع نقد أبي حامد الغّزالي للمشائية الإسلامية ؛ و من خلال معايشة تفاصيل مطالبــه ، و من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ، فإن أفضل تصوير لذلك تشبيه الفلسفة المشائية باللينة التي إنتقلت من اليونان إلى العالم الإسلامي ، ونمت بجهود الفلاسفة المشائين الإسلاميين كالفارابي و إبن سينا، و في ظل فلسفة ذات منظور مميز أصبحت شجرة، و إكتمل نموها بما عملوه فيها من إصلاح ، و وصلت إلى كمال قوتها إلى أن قدم إليها الغزالي محاولا اقتلاعها من خلال ما مارسه من سلاح النقد والتمحيص والبحث في مستوى إعادة التفكير بالمورث المعرفي إذ أصبحت ذات إستعداد لبلوغ طفرة نوعية تمثلت في عملية حفر في طبقات المعرفة المتراكمة كي يصل إلى حقيقة الفطرة و الأساس اليقيني الذي تبنى عليه مناهل العرفان بين النقل و العقل في العالم الإسلامي، إذ يعد ابتكاره لوحة علمية متناسقة الشكل والمضمون تجسيدا للعقلانية العربية الإسلامية .

ومما يلاحظ من خلال هذه الدراسة المتواضعة، أن الغزالي لم يكن فيلسوفا فحسب؛ وإنما كان إلى جانب ذلك منطقيا و فقيها و عالما ، إذ كان نقده للفلسفة عن طريق تحليل منطقي دقيق وفقه كل ما اصطدم بمسلمات التوحيد الصحيح و معرفة حدود الله وهو سلب الإلهية عنه وتشير إلى وجود تشابه بين الله وسائر الموجودات. ينكر الغّزالي ذلك

بقوله أّن ما تم اعتقاده كفر صريح لا يتوقف فيه. و أّن للعالم صانعا واحدا وسبب لحدوثه، وأّن العالم هو ما سوى الله ؛ و هذا ما يجعل أفكاره ذات طابع فلسفي متميز.

لذا فقد سجل الغزالي بنقده الفكري رسالة تتمثل في وجوب التمسك بالهوية الإسلامية رغم تعدد أبواب التراث الفكري و الفلسفي.

كل هذا خول للغزالي قيمة فكرية متميزة ، فلقد كان بحق فيلسوفا من طراز خاص.

إذن فمن خلال ما تم تحليله في هذه الدراسة ، و بعيدا عن المناقشات التفصيلية والاستطرادات التقييمية وبعد الإلمام بمجمل الأفكار حول نقد أبي حامد الغّزالي للمشائية الإسلامية فإن مجموعة النتائج المتحصل عليها وفق المباحث الفلسفية المتبعة :

1 –أّن الإمام أبي حامد الغّزالي عاش في عصر يموج بالفتن والصراعات العقائدية الفكرية ؛ لذلك عمد للقضاء على تلك الفتن والحد منها دون خلق اضطرابات جديدة ،إذ طرح موقفه بأسلوب له قابلية الدفاع.

2 –كما لعبت البيئة الأسرية و الاجتماعية التي نشأ فيها الدور البارز في تكوين فكره وتحديد طبيعة شخصيته ،بحيث لجأ إلى اقتباس كل ما يناسب أفكاره ، ما جعل فلسفته و فكره ذوا طابع خاص.

3- أّن البيئة التي نشأ فيها الفلاسفة ، تؤكد على وجود صراعات ،وتعدد القضايا والأفكار العقائدية والفكرية، آنذاك اشتد الجدل والنقاش حول مبادئ ومعتقدات الفلاسفة ما دفع الغزالي إلى الدفاع عن الدين .

4 - لقد قام الغزالي بتحليل هذا المنهج النقدي و عرضه في صورة منظمة ، و أضاف إليه أبحاث كثيرة تكاد تكون متكاملة في مسوغها المنطقي .

5- إن طريقة نقد الغزالي للفلسفة كانت طريقة فلسفية ، حيث كان اتجاه الغزالي اتجاها عقليا منطقيا دقيقا.

6- إذن نقد الغزالي للفلسفة المشائية تبقى نبراسا للعديد من علماء الكلام اللاحقين على الغزالي الذين نقدوا بدورهم الفلسفة المشائية في ضوء ما فعله الغزالي.

7- لقد التجأت الفلسفة بعد الغزالي إلى ارتداء ثياب الخفاء تقية من أعدائها فاقتنت رداء الصوفية.

الملاحـــق

الملحق الأول: الحجج الأربع على قدم العالم عند الغزالي*

الحجج الأربع على قدم العالم عند الغزالي							
الحجة الأولى		الحجة الثانية		الحجة الثالثة		الحجة الرابعة	
استحالة صدور حادث من قديم		الزمان		الإمكان		مادة الإمكان	
الإرادة القديمة	**إستناد أعراض القديم**	**تقدم الله على العلم بالذات**	**تقدم الله على الزمان**	**طريقة الإمكان المستلزمة لأزلية المادة**	**أزلية الإمكان و إمكانية الأزلية**	**الإمكان أمر إضافي**	**الإمكان كالامتناع قضية عقلية**

* رضا سعادة :مشكلة الصراع بين الفلسفة و الدين ص26 ، ط1، بيروت ، 1990

الملحق الثاني: أهم مؤيدي الغزالي

1-قال عنه معاصره الشيخ عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي :" ...أبو حامد الغزالي حجة الإسلام و المسلمين ، إمام أئمة الدين ، من لم تر العيون مثله لسانا و بيانا و نطقا و خاطرا و ذكاء و طبعا."

2-و ترجم له الذهبي فقال :" الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، صاحب التصانيف و الذكاء المفرط".

3-و ترجم له تاج الدين عبد الوهاب السبكي فقال :"حجة الإسلام ، و محجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، و المبرز في المنقول منها و المفهوم ، جرت الأئمة قبله بشأو و لم تقع منه بالغاية ، و لا عند مطلب وراء مطلب لأصحاب النهاية و البداية ...."

4-و قال الشيخ الإمام علي بن عبد الكافي السبكي :" و ماذا يقول الإنسان في الغزالي ، وفضله و اسمه قد طبقا الأرض ، و من خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه".

5-قال أبو العباس المرسي:" أنا اشهد له بالصديقية العظمى ".

6–قال ابن النجار : " أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق ، و رباني الأمة على الاتفاق ، و مجتهد زمانه و عين أوانه. برع في المذهب و الأصول و الخلاف و الجدل و المنطق ، وقرأ الحكمة و الفلسفة و فهم كلامهم و تصدى للرد عليهم..."*

* محمد سعيد رمضان البوطي : شخصيات استوقفتني ، ص 89 .ط1، دمشق ، 1999.

الملحق الثالث: أبرز منتقدي الغزالي

1-أبو بكر الطرطوشي إتهم الغزالي بهجر العلم إلى العمل، وطعنه على الفقهاء و المتكلمين.

2-المازري أنكر على الغزالي الإستناد إلى الأحاديث الواهية.

3-إبن الصلاح عاب الغزالي إدخاله المنطق في علم أصول الفقه.

4-أبو الوليد محمد الطرطوشي :" شيخنا ابو حامد الغزالي بلع الفلاسفة ، و أراد أن يتقيأهم فما استطاع" *

* يوسف القرضاوي : الغزالي بين مادحيه و ناقديه ، ص 94 ، ط1 ،القاهرة ، 2000

الملحق الرابع: خريطة تبين موقع ولاية طوس

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر:

أولا : القرآن الكريم : براوية ورش عن الإمام نافع.

ثانيا:

01 – أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال .

02 – أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة ، تح : سليمان دنيا ، ط 4 ، القاهرة ، 1966.

03 – أبو حامد الغزالي : القسطاس المستقيم : تع : محمد بيجو ، دمشق ، 1993.

04 – أبو حامد الغزالي : معيار العلم في فن المنطق ، تح : حسين شرارة ، بيروت ، 1964.

05 – أبو حامد الغزالي : ميزان العمل: ، القاهرة ،1963 .

06 – أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، تقديم صدقي محمد جميل العطار بيروت ، 2001 .

07 – أبو حامد الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، تح محمود بيجو ، ط 1 ، دمشق ، 2000.

المراجع :

01 – إبراهيم محمد تركي : علم الكلام بين الدين و الفلسفة ، ط 1 : الاسكندرية 2008.،

02 – ابن خلدون المقدمة ، ط 1 ، بيروت ، 2003

03 – ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج 4 ط 6

04 – يوحنا قمير : أصول الفلسفة العربية ، ط6 ، بيروت ، 1991.

05 – دي بور : تاريخ الفلسفة الإسلام ، تعليق : محمد عبد الهادي أبو ريده ، ط 3 ، القاهرة ، 1954.

06 – ابن سينا : منطق المشرقيين : ط 2 ، قم ، 2012.

07 – ابن منظور: لسان العرب ، تحقيق ، أحمد فارس ، ج 2 ، بيروت ،.1990

08 – أبو يعرب المرزوقي : تجليات الفلسفة العربية ط 1 ، دمشق ، 2001 .

09 – أحمد أمين : ضحى الإسلام ،ج 2 ط 3 ، القاهرة، .1952

10 – أحمد أمين : ظهر الإسلام ، القاهرة ، 213 .

11 – أحمد فؤاد الأهواني المدارس الفلسفية،القاهرة ،1965.

12 – أرسطو : السياسات : ترجمة أوغسطين البولسي ،القاهرة ، 2001

13 – الشهر ستاني : الملل و النحل ، ط 2 بيروت ، 1992.

15 – الفارابي : الجمع بين رأيي الحكمين علق: البير نصري نادر ، ط 2 ، بيروت ، 1968.

16 – حسن الشافعي: التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية . القاهرة 1989 .

17 – سعديف و توفيق سلوم : الفلسفة العربية الإسلامية .3 ط 1 ، بيروت ، 2000 .

18 – صالح أحمد شامي : الإمام الغزالي مجدد المئة الخامسة ،.

19 – عاطف العراقي الفلسفة العربيَة والطريق إلى المستقبل،ط 6، مصر ، 2009.

20 – عباس محمود العقاد : فلسفة الغزالي ، القاهرة ، 2013 .

21 – عبد الحليم محمود : قضية التصوف المنقذ من الضلال .ط 5 ، القاهرة ، 2003.

22 – عبد الرحمان بدوي : مناهج البحث العلمي ، ط 3 ، الكويت ، 1977.

23 – عبد الرحمان بدوي :مؤلفات الغزالي : ط 2 ، الكويت ، .1977

24 – عبد الغافر الفارسي:"المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور،تح محمد أحمدعبدالعزيزط1،بيروت 1989.

25 – عبد الكريم العثمان :سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه ، ،دمشق.

26 – عبد الكريم العثمان : الدراسات النفسية عند المسلمين .

27 – عبد الكريم العثمان : سيرة الغزالي ، دمشق .

28 – علي بوسلمان الجبيلي : نظرة في تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط1 ، بيروت ، 2015

29 – عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام بن خلدون ، ط4 ، بيروت ، 1983 .

30 – محمد سعيد رمضان البوطي : شخصيات استوقفتني ، ط1، دمشق ، .1999

31 – محمد عابد الجابري :تكوين العقل العربي ، ، ط1 ، بيروت ،1984.

32 – محمد عبد الرحمان مرحبا ، مع الفلسفة اليونانية ، ط 3 ، بيرون –باريس ، 1988.

33 – محمد عبد الواحد حجازي : أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ط 3 ، بيروت ، 1971.

34 – محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام ، القاهرة ، 2014.

35 – مصطفى النشار : فلسفة أرسطو و المدارس المتأخرة ، القاهرة ، 2006.

36 – مظهري مرتضى : مدخل إلى الفلسفة ، 2007.

37 – ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ترجمة فتح الله محمد المشعشع ، ط6 ، بيروت 1988.

38–يوسف القرضاوي : الغزالي بين مادحيه و ناقديه ، ط 1 ، القاهرة ، .2000

39– رضا سعادة :مشكلة الصراع بين الفلسفة و الدين ، ط1، بيروت ، 1990.

الموسوعات :

01 – جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط 3 ، بيروت ،2006.

02 – بيتر كونزمان فرانز و آخران: أطلس الفلسفة ، تر :جورج كتورة ،ط 1، بيروت ،2001 .

03 – الموسوعة الفلسفية المختصرة : تر: فؤاد كامل و آخران،مر: زكي نجيب محمود ، بيروت.

04 – أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل ، ج 2 ، ط 2 بيروت– باريس . 2001.

05– مصطفى حسيبة : المعجم الفلسفي ، ط 1 ، الأردن ، .2009

06– الذهبي:شخصيات الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام ،تح : بشار عواد معروف :م11،ط1،بيروت،2003.

ملخص

ملخص

يهدف هذا الموضوع إلى دراسة ((نقد الإمام أبي حامد الغزالي للمشائية الإسلامية)) و مدى تأثر فلاسفة الإسلام المشائين بفكره النقدي الفلسفي ، إذ اضطلع الغزالي بمكانة مرموقة ضمن أكبر الفلاسفة ،و لتوضيح حقيقة التأثير تم طرح جملة من التساؤلات منها : ما حقيقة الفلسفة المشائية الإسلامية؟ من هو الغزالي ؟ و ما هي عناصر التأثير التي ساهم بها من خلال نقده الفكري للفلسفة المشائية الإسلامية؟ و في ظل هذه التساؤلات التي تقود إلى بيان أهم القضايا الأساسية التي تدور حول مسألة التأثير و الخروج بفكرة مزج فلسفة الغزالي النقدية بما هو فلسفي إسلامـي في عصره و ختاما انتهى البحث بجملة من الاستنتاجات التي تمخضت من خلال دراسة الموضوع.

Résumé

Ce sujet vise à étudier ((critique de l'Imam Abu Hamid al-Ghazali à péripatétisme islamique)) et la mesure influencé par les philosophes de péripatétismes islamiques sa pensée philosophique, comme porté Ghazâlî grand prestige critique parmi les plus grands philosophes, et de clarifier le fait que l'effet a été soulevé un certain nombre de questions, notamment: Qui est al-

Ghazali? Quels sont les éléments qui ont contribué à les influences de la critique intellectuelle à la philosophie islamique? À la lumière de ces questions, ce qui conduit à des questions les plus fondamentales qui gravitent autour de la question de l'influence Et l'idée de mélanger la philosophie d'al-Ghazali critiquienne et une conclusion philosophique islamique de son temps et se termine par une série de résultats de la recherche qui a émergé à travers l'étude de la déclaration de sujet.

فهرس الموضوعات

الفهرس

المحتويات	الصفحة
مقدمة	06
الفصل الأول : الفلسفة المشائية و انتقالها إلى الفكر الإسلامي	
المبحث الأول: مفهوم الفلسفة المشائية عند اليونان	12
المبحث الثاني: الفلسفة المشائية في الفكر الإسلامي	19
1- في فكر الفارابي	21
2- في فكر ابن سينا	24
الفصل الثاني : الغزالي و منهجه النقدي للفلسفة	
المبحث الأول: التعريف بالغزالي	29
المبحث الثاني: حقيقة المنهج النقدي عند الغزالي	44
1- مفهوم المنهج النقدي عند الغزالي	48
2- مصادر المنهج النقدي عند الغزالي	52
3- دوافع المنهج النقدي عند الغزالي	58
الفصل الثالث : نقد الغزالي للفلسفة المشائية الإسلامية	
المبحث الأول: موقف الغزالي النقدي من القضايا الفلسفية المشائية	67
المبحث الثاني : أثر فلسفة الغزالي النقدية على الفكر الإسلامي	74

خاتمة	77
الملاحق	81
الملحق الأول: مخطط براهين قدم العالم عند الغزالي	81
الملحق الثاني : أهم مؤيدي الغزالي	82
الملحق الثالث : أبرز منتقدي الغزالي	84
الملحق الرابع : خريطة تبين موقع ولاية طوس	85
قائمة المصادر و المراجع	86
ملخص	92
فهرس الموضوعات	95